المشيمة

Willows House
منشـــــورات
ويلوز هاوس

جنوب السودان، جوبا، كاتور، مربع ٨ جوار مركز جيران

www.willowshouse.net
www.jubabok.com
gatawillow@gmail.com
willowshouse3@gmail.com
+211927302302

اسم الكتاب: **المَشيمَة.**

اسم الكاتب: **مأمون التِّلِب.**

حجم الكتاب: **14×20.**

تاريخ النشر: **الطبعة الأولى 2020.**

عدد الصفحات: **136 صفحة.**

رقم الإيداع: 22361/2021

الترقيم الدولي: 978977659710 4

حقوق النشر محفوظة للمؤلف والناشر©

ولا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار ويلو هاوس غير مسؤولة عن آراء المؤلف و أفكاره، وتعبّر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

الرسومات والخطوط للفنان: **عصام عبد الحفيظ.**
التصميم: **محمد الصادق الحاج.**

المشيمة

مأمون الشلب

Willows House
منشـــورات
ويلوز هاوس

2021

إلى مَن أظلَّتنا بظلِّها

أمي، رشيدة حبيب الله.

النصوص

١. **غِلْظَةُ التَّأويلِ بالمُدْمَن** 11

٢. **تَحْقِيقَات كَانَ** 35

- المستمرُّ مُستَمِرَّاً 39
- (كُن) المعركة 47
- مُعاصرة الخُلود بضربة 73

٣. **الشَّجَرة: (خريطةٌ مُقتَرحة لإنبات السَّلالة)** 79

- البذرة 83
- الجَذر 88
- عبور الشجر 93
- رحم الشجرة 99
- صلوات الحرب 106
- الرسائل 115

٤. **المشيمة** 125

مُلْحَقُ التَّأويل بالمُدْمَن

ديسمبر ٢٠٠٧ - يناير ٢٠٠٨م

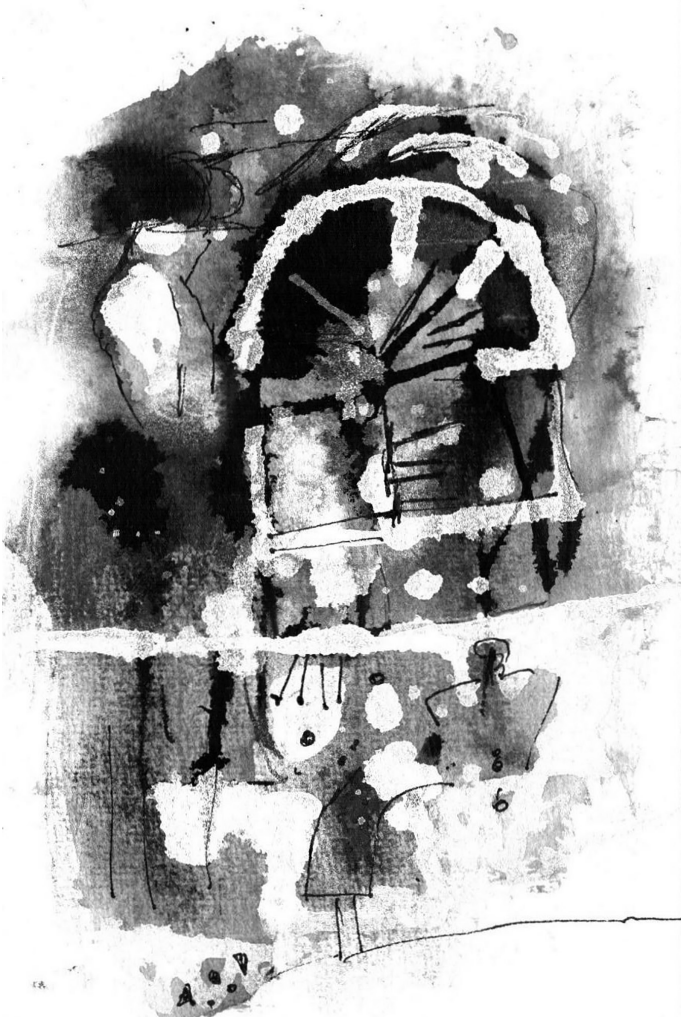

حركـة:

الفتاةُ
وهي تنظرُ من نافذةٍ
رَأَت جِلْدَهَا وقد أصبَحَ جُزءاً من إطار النَّافذة!
حليبَهَا مدهونَاً على الزُّجاج مشوِّهاً الليل أمامها،
وهي تنظرُ إلى الباب،
تَرَكَت شَعْرَها يمتدُّ ويتخلَّلُ مِقْبَضَهُ
غامراً إيَّاهُ بالزَّيت ورائحة العُنُق.

عَضَّت شفتيها
سَالَ خَشَبٌ ضَعِيْفٌ
بَكَت: كُهُولةُ اليقين تفشَّت في الهواء؛
مزَّقَهَا طائرٌ أعْمَى يَتَخبَّط.

خطواتها لا تلمسُ الأرضَ ولا السَّماء
لن تُكلَّلَ بنَشَافِ بَشَرَاتِ أجدادِهَا،
حكاياتٌ مُشيَّدةٌ بالحرابِ تتقدَّمُ موكبَها
قرودٌ عشَّاق ينصبون فخاخاً رديئةً لفئرانِ غُرْفَتِها،

أصواتٌ مجهولةٌ تصبحُ شفَّافةً،
لتصدِّق أجساد المكان وتخرجَ منهَا ملوَّثةً،
أمثالٌ تُضربُ لأجل هذا الحاضر المرتجف،
والأشجار ـ لأجل ذلك أيضاً ـ منحنيةً على جذورها
تستخرجُ الرُّموز:
كم من خَلْقٍ حارَ واستعصى على التنفُّس وتوحَّش؟.

إدمان:

عندما يَنظُرُ الإنسانُ في المرآة
يَرَى الآخرين.

كلٌّ بملامِحِ حُبِّه يَتَسَلَّحُ
كلٌّ بملامحِ خيبتِهِ، أمامَ لغةِ الجسدِ، يتأرجح.

تَقفِزُ قطَّةٌ سوداءُ من النَّافذة
يَدْخُلُ تمساحٌ جائعٌ غَيْرَهَا
تَشْتَاقُ نُعُومَةَ الفَرْوِ
تَتَحَسَّسُ خُشُونَةَ الأنياب.

لا بأس
كُلٌّ بمرآتِهِ يُنافحُ ذاتَهُ بما كَسَبَت وما اكْتَسَبَت،
وحدَهُ خيالُ جسدِكَ في مقبرةٍ
يَشهقُ دهشةً من تصرُّف قوَّتك أمامك،
كيف تنسَابُ مِن كُلِّ هذهِ الأيادِي
دُوْنَ ضَغِيْنَةٍ ولا مُوَارَبَة؟.

لا شَيء
رَمْزٌ أبجديٌّ ضَائِع.

حركـة:

[ذهبْتِ وتغيَّرَ الكون، تألمتُ، وذهبتُ مباشرةً إلى سفينةٍ تقطع النَّار وكنتُ ريحَها، واحتميت بشوائب الإناء الذي تركتِهِ يتقلَّب ببرودته على يدي، كانت يدي طيناً متشقِّقاً ينبت فيه الصَّبار القليل، وكانت أحلامي تَصْغُرُ حتى تملأ ثقوبَه الخفيةَ وتنْزَلِقُ منها بمَرَحِ طفلٍ أعمَى يتحسَّس اللَّعِب.

الخطوط اللئيمةُ التي رَسَمْتِنَا بها ليلة عيدِ الكِبَار، تمدَّدَت، وعرفتُ أنني أحكي قصةَ أشخاصٍ آخرين سوانا، كنتُ حياتَهم المجهولةَ وهي تتماسك بتلك الخطوط. قُلْتِ حينَها أنكِ رسَّامة، وقلتُ لكِ أنا لوحاتُكِ التَّالفةُ الممزَّقةُ في جدول النفايات؛ الجدول الذي يصبُّ بلعناته ويصنع أخاديدَ غائرةً على فمِ النَّهر الكبير؛ النَّهر الذي يُلْقِي فيه كلُّ شيءٍ ببقاياه: ما أكَلَهُ المرضُ من لحمه، ما حَذَفَتْهُ الحروبُ من ذاكرةِ أطرافه، ما شوَّهَ بطنَهُ بالقرف، ما فَقَدَتْهُ العينُ من دموعٍ لا رجعةَ لها، ما يتصاعد من دُخَانِ خروفٍ ذُبِح، ما تَتْرُكُه النَّبْتَةُ لفَصْلٍ يجفِّفها، ما عَلَّمَتْهُ الغنيمةُ لمحارِبِي (أُحُد)، ما سَرَقَتْهُ الملائكةُ من أقدارِ البَشَر، ما تساقط من صَخْرٍ نُحِتَ، ما فَقَدَهُ الخدُّ لحظةَ الخجل، ما تسارع من ضرباتِ القلبِ وأنهى حياتَها، ما سقط من عَرَقِ الخوف، ما شذَّ من أحلامٍ تقاسَمَها أهلُ الكهفِ مع كلبهم.

ارسمينا مرةً أخرى، سأُوقظ ليلتَنا التي غنمناها بعد ٣٠ سنةً من يوم الرسم، وسأتركها تعضُّ يدَك بقوةٍ كما فعلتِ أنت ذلك اليوم؛ سأخفِّفُ من عناءِ عينيكِ بهذا الفعل، سأتَّخِذُ لي هيئةَ خَطٍّ منها وأترك مكاني لوغدٍ آخرَ يشبهني، سأختاره دون أن تعرفي، ودون أن يعرف، وأزجُّ بهِ أمام جمالِكِ الكبيرِ، ليقضي حياتَه وأصبحُ أنا مُدَوِّنَ السيئات؛ مُغْفِلَ الحَسَنات، وأُشَرْبِكُ قبلتكما بظلامٍ خفيفٍ يليق بالشَّرْنَقةِ التي حبلت بكما ذات سنةٍ ضوئيَّةٍ عاشت في عينيك للحظةٍ ووَلِدَتْنِي ميِّتاً].

إدمان:

أكثرَ وَعْيَاً من تاركٍ حياتَه لطوفانٍ نائمٍ في سُرَّته،
سأقوم من موتي،
وأُسَلِّي أبناءَ الحياةِ بلحْيَةٍ محاربةٍ بالطُّول،
سيقفزون إلى حِجْرِي يتناولون قلبي ويتناوبون على إبكائه
يضحكون بدموعه المنويَّة،
يقذفون به من يدٍ إلى يد.
ثم
أقذفُ بهم إلى وجه آبائهم وأمهاتهم وأقول:
(تبَّت يدا أبي سهرٍ وقيظ، والعصر،
إنَّ أغوارَكم لفي مرآةٍ تتهدَّج).
سأغامر بوضعي كَمُوَاسٍ لاحتجاجاتهم الصغيرة ـ الأبناء ـ على أحضاني الضخمة،
سأُرَبِّيهم بما أُوْتِيتُ من غَمْرٍ سِرِّيٍّ في الموسيقى،
سأتواثَبُ من سريرٍ إلى سريرٍ أخبرُهُم بأحلامهم قبل أن يناموا،
سأستخرجُ كوابيسَهُم بسكاكينَ مائيَّةٍ وأشْرَبُها بعدَ خَلْطِهَا بدموع ربِّهم،
وأنتظر حتَّى الصَّباح.

سأقوم بهذا يومياً؛
أُدْمِنُهُم،
أدمنُ بقاءَ رغبةِ إنجابٍ في عيون البشر الطيبين.

حركـة:

قيادةٌ لا غير، تَرْكَبُ في الخلفِ نظراتٌ زجاجيةٌ تتواثبُ من مطبَّاتِ الأرضِ الكثيرة. في المرآةِ آلافُ الذئابِ تركضُ بهدوءٍ خلفَ العربةِ المجنَّحة، البراكين من تحتها تكحُّ بقوَّةٍ آثارَها الدُّخانية، لهيبٌ أموميٌّ يقتنصُ تحرُّكاتِ طيورٍ تحلِّقُ في السَّماءِ الممتدةِ من فوقه، لا سحب، لا شمس، لا ليل؛ بل حالةُ عناقٍ، يمكننا أن نسمِّي الوقتَ حالةَ عناقٍ أليس كذلك؟، ألا يحقُّ لسقف العربة الممزَّق أن يَضْحَكَ لجهلِهِ بتفاصيلِ العالَمِ المسجونِ داخلَه صفةً منْزُوعةً من طبيعتها لتُسْتَغلَّ لأغراضٍ (خَطِرة)؟. إن السَّقف لا يحمي مَن يجلسون تحتَه والحركةُ تصرخ، بل هو يحمي عينَ العالَم من مكامن وجه السَّائق، إذ كان الأمر بالنسبة له: قيادةٌ لا غير؛ قيادةٌ تضع التهوُّرَ والحكمةَ على حِجْرِها وتُرْضِعُهُما من ثديين حجريَّين لهما مادةٌ شَجريَّةٌ تسيلُ وتُوْدِي بحياتهما لأجل أُخُوَّةٍ غامضةٍ بينهما.

(وَصَلْنَا المكان، انزلوا، لا تنسوا الستائر، والنِّيرانَ الصغيرةَ لا تتركوها وحدها؛ ستبكي، احفروا المقاعدَ الخلفيةَ للعربة؛ ستجدون مخدراتٍ من الصنف الأخيرِ كَحَتْنَاهَا من أجنحةِ أكثرِ الملائكةِ إيماناً بلاحيلته، انبشوا الزُّجاجَ الخلفيَّ والجانبيَّ؛ ستجدون النَّظراتِ التي وَعَدْتُكُم بها قديمةً، معتَّقةً، تصلُح للشراب. وَصَلْنا الزمان، انزلوا).

سَيْرٌ لا غير، حول أسوارٍ محجَّبةٍ بذهبٍ مطليٍّ عليها؛ مسنَّنَةِ الأطرافِ تنتظر الغرسَ والتبرعم. الأشجارُ الطفيليَّةُ المتسلِّقَةُ تلبسُ الفضَّةَ وتُقَبِّل بعضها بعناقٍ مجفَّفٍ يَسْتَقِي قوَّتَهُ من نظراتِ الاحتقارِ الموجَّهةِ إليها، لا أحدَ هنا في المكانِ؛ خلف الأسوار، فقط (المكان) جالسٌ يتبادل التحديقَ مع نفسِهِ ويثرثرُ مع الهواءِ المشكِّل له. إذاً وَصَلَ الحشدُ بكآبته كلِّها ومحدوديَّةِ حُبِّهِ وسَجَدَ لـ(المكان)، نُسِفت الوِحدَة، عُزْلَةُ البكاءِ تفتَّتَت وحَالَ لونُها ليصبحَ شمسَ هذا اليومِ الغريب: سَيْرٌ مُبْتَلٌّ بعَرَقِ هذه الشَّمْس.

إدمان:

طُعْمٌ؛
صُدْفةٌ عملاقةٌ تحملُ السَّمكةَ ذاتَ الأجنحةِ نحوَ البرّ
بلهاثٍ أقرب إلى قُبَلٍ تائهةٍ للموت
كأنَّ جيشاً من حصونٍ يتكالبُ على فمها الصغير.
البحرُ كارثةُ وَجْهِهِ المتلوِّنِ حسب أعماقه.

هذه الطيور التي تمرُّ بمناقيرِها عبرَ البحر
باتِّجاهِ الحقول
مسلوبةً، ومُجَازَةً بأختامِ الرِّيحِ الحيَّة،
كيف تحمَّلَت وِزْرَ آلافِ الفزَّاعات
دون انتباهٍ
طيلةَ القرون؟
أَلِذَّةُ المخاطرة؟، عزاء التَّدوينِ على الأجنحة؟
أَرِقَّةُ المراوغة؟
تسريبُ الشَّكِّ عبرَ التلفُّتِ الأخضر؟

لاشيء؛
إنها حرية التَّوَهان،
وصلافةُ الخطفِ الأبديِّ لاستمرار السُّلالة.
عشقُ الأشكالِ المتحوِّرة؛ خيالُها المبتسمُ الخالد،
رهبةُ أعماقِ الحركة.
الحقلُ يبكي عليها.

وهذا الحقلُ، في صباحٍ كهذا، مصحوبٌ بقرقعةِ المصائد
مستَلٌّ من تهافتِ أقمشةِ الفزَّاعات بسهولةٍ حتميَّةٍ
هذا الحقل مخطَّطٌ، مجترٌّ بنظامِ المواسم
والشَّاحناتُ، بمللٍ قديمٍ صدئ، تقف عند أطرافه
مستعدَّةً لإثارة غبارها المستعار من أرضٍ محقونةٍ بسمادٍ كيميائيٍّ،
وكيف، طوال الحياةِ، تدمنُ مسايرةَ الفصول
لتبزغ أسرارُها على اليدِ طيبةً؟
أَلِيستريحَ الجرادُ من التَّخمين؟،
تهديدُ الأمطارِ وصلواتها؟،
لذَّةُ عطاءٍ غير مستحقّ؟،
لتظلَّ مأوىً لغرامياتٍ سريَّة؟
هل كانت الحقول أعضاءَ الأرض الجنسية،
ولا ترتوي من مداعبة النموّ والقطف؟.

لاشيء؛
إنها أعضاءُ الموتى تُطلُّ من الأرضِ حقولاً مصنوعةً بمشيئةِ البشر
خوفَ تخويفِهم؛ تخرجُ بأوراقٍ،
وتَعصِفُ بحياتها مع تقلُّبِ الفصول.

هذا الحقلُ تُسعِدُهُ الفئران، جريئةً تلتفُّ بجِيْرةِ الجذور،
بجِيْرةِ التُّربة من شكلِ عيونها الدمويِّ الرهيب!.

حركـة:

في الشَّارع المظلم
الكلبُ يلتفُّ حولَ جسده، محاولاً أن يقضمَ ذيلَهُ؛
الضَّوْء كَشَفَهُ بمُعَانَاةٍ، الضوءُ القادم من بابٍ فُتِحَ بقوَّةٍ،
وامرأةٌ، تتدحرج جثةُ زوجها أمام بيتها؛ أمام الكلب،
تصرخ.
يخرجُ الليل من فمها مبللاً،
يقتنص ليلَ العالم،
بيدين متَّسختين بالنُّباح؛ بملاءات السرير المتعرِّقة.

بيوتُ الشَّارع تمَّحي، تبقى ظلالها، وأشباح سكَّانها تتعانق.
مَنْ يَنظرُ للسماءِ سيرى النَّوافذ معلَّقةً تنتظرُ المُنتَظِر،
سيرى الأبوابَ ترتجفُ بأثقابِ مفاتيحها، وأقفالها؛
وشتاءٌ مكيَّفٌ على بلوغ النَّشوةِ يصدر عن حديدها الصدئ.

من سوف يخبر التَّاريخ بالحدث
سوى عظامه المتبخِّرة بذاكرة التُّراب المسنّ؟.
أنظرُ إلى أسنَانِ الحَيّ، فلا أرى أَثَراً للحمي،

أنظرُ إلى السُّموم الخارجة من أجسادٍ مريضةٍ
فلا أرى وجهي يتموَّج على سطحها الشّائك.
كأن الحياة سيرةُ رضوضٍ تُصدِرُها الأجسام أصواتاً وسيوفَ معنىً.

انتظرتُ أن ينتهي كل هذا:
الكلب ينقلب إلى الجِّهة الأخرى ليعضَّ ذيله فيعضّ أنفَ كلبٍ آخر!.
المرأة تصمت،
كل ما في الوجود يتسمَّر داخل عينها،
إنها لحظةُ وداعٍ تليق بفستانها الممزَّق
وشَيْبُهُ سيظلُّ معلَّقاً بأنفاسها الصاعدةِ والهابطة.
هذا العمر
ـوما تليه من تسمياتٍ للزمانـ
لا يصلح لأن يقضي إدمانه داخلَ خوفٍ هوَ مسيِّرُ كلَّ شيء؛
أيامها القادمات تساقَطَت أمامها مطراً أسودَ،
مَحَى الكلبَ من الوجود،
محى ثيابَ زوجها المزيَّتة بأحداقها،
وأنا كنتُ أحفظُ الإيقاعَ لبيوت الشَّارع،
وأشباح سكَّانها
ليرقصوا عِناقَهُم بهدوء.

إدمان:

الشمعةُ وحيدةٌ لأنها بلا حُرَّاس.
الرِّيح تغتالُها
إدمانُها في صمتِ الهواء من حولها
وما يستجدُّ من أجسادٍ تتمتَّعُ ببخلِ ضوئها.
هذه الجدرانُ تمتلكها بقوَّةِ التَّفريط الكامنة في الجَّماد،
والأجسادُ الملتبسةُ في سريرٍ ضيِّقٍ تثير ظلالَها الكامنةَ في نارها
هي لا تعرف مقدار الأمنِ والسَّلام الذي تَبعَثُهُ في (حلول الظلام)؛
هي قوَّةُ الظلام مجسَّدةً في ثوبٍ يذوب بالتدريج،
كأن عينَ العالم غافلةٌ عنه،
لأن صوتَه متكوِّمٌ في انسحاب الحياة للنوم.

ياه..
عذريَّةُ الليل شمعةٌ
لا يمسّها سوى المطهّرون.

(ألـ) إدمان

(ألـ) تَخْمِينٌ مُبَاشِرٌ بين ما يَنَالُهُ العملاق ذو العين الواحدةِ
وبين مملكتِهِ التي تَغلي الآن، رافعةً رِقاع الدَّعوات العظيمة
لأصنامٍ تُنبِتُ ضَغِيْنةً يَنْظُرُ بها النَّهر للشَّمس.
مدينته يسيطرُ على شوارعها كلابٌ يتغامزون بأنوفهم،
يشمّون رغبةَ كلِّ واحدٍ في الآخر، في الفَرْو المشرَّد.
(ألـ):
تخمينُ النَّجاةِ من العاهة،
بترساناتها المكوَّمةِ على أبوَابِ الجسَدِ تتسوَّلُ الحَوَاس
إدمانُ الضَّربِ
فجوةُ الإيمائةِ لحديقةٍ تَحْتَرِقُ بالجفاف.
تَوسَّعَ العالمُ في حدقةِ حجرٍ مُلقىً على كاهل شذوذٍ يعبر،
يا لهُ من لوحةٍ تَنْزِفُ أنفاسَ ألوانها وتتحجَّب بالمستقبل؛
يا له _الحجر_ رميةُ الحظِّ
على خطوط يدٍ تُعذِّبُ الماضي باسْتِحْضَارِهِ مستغرَقاً.
شلَّةُ الأحجَار تَرْكُضُ
مجرَّةً من الكَوَاكِبِ المُتَنَافِرَةِ بمدَارَاتها
حولَ الأرض،

حولَ عينِ الإنسان؛
هذه (ألـ)الشَّجرة
غُصْنٌ
طائرٌ على (ألـ)غُصن،
بيضُ (ألـ)طَّائِر،
مواليدُ برج (ألـ)الطَّائرِ يتعلمونَ (ألـ)تحليق،
(ألـ)سَمَاءُ تستغلُّ مهارةَ حَرَكَتِهِم داخلَ هوائِهَا (ألـ)مرتعش برقَّةِ تخبطاتِهِم (ألـ)أوليَّة، (ألـ)فزَّاعة تنظرُ إليهِمِ من حقولِ جُوعِهَا للتخويفِ، واحساسها بكينونةٍ تَلِيْقُ بتمزُّقِ ملابِسِهَا، ضعفُ حيلةِ (ألـ)أغصانِ يَشْتَهِي مَخَالِبَهَا (ألـ)صغيرة.

الطِّفلَةُ عند الزاويةِ تُشَاهِدُ وتبكي،
الطفلُ عند الزاويةِ يقضم فُسْتَانَهَا القديم بعُيُونِهِ ويتألَّمُ بفَمِهِ الصَّغِير،
الفقرُ يعضُّ الألمَ، يمضغ غرائبيَّة حياتِهِ في خضمِّ الجوع والابتسامةِ والظُّلم الجميل.
الطيورُ تحطُّ على دموعِ الفتاةِ وتشيِّد مستعمرات خَيَالها
الطفل يتقوَّضُ عند حدودٍ دنيا من إصغاء الخدودِ المبتلَّةِ باللعبِ، وتخمين الضربَات
البيتُ، بيتُ العالم

التضوُّر للمجهول، وبياناتُهُ تترقرقُ من عجزها جذوراً تخترقُ جروحَ
الصُّراخِ الحائم في الهواء،
هواءٌ تتنفَّسُه الأمُّ
يتنفَّسُه بيضُ الطَّائِرِ في الماضِي.

غموضُ العالم يتعدَّى الأزهار الميّتة على عنقٍ وحيدٍ بلا جَسَد،
يتعدَّى مكالمات أطواقِ النجاة السابحة على نهرٍ جفَّ لتوِّه،
يتعدَّى إشارة الإصبع الضائعة في كوم قشٍّ مُحتَرِق.
أيةُ مؤامرةٍ سيدبرها الفأر الصغير؟ وهو يقف مقلوباً داخِلَ عَيْنِ
القِطّ؟.
أية مُوَارَبةٍ تنسجها لمسةُ الحبِّ
عبر آلةٍ موسيقيةٍ تكتنـز الهواء كلَّهُ
لتَحْيَا؟.
هذه الأرض دائرةٌ داخلَ كلِّ ما يدور
مُحدِثةً دوَّاماتٍ من الحمَّى والصَّقِيعِ الشائخ،
وكل كائنٍ يبحث عن قوَّته في موته،
ويترنَّم بإيقاعٍ مائيٍّ شفَّاف؟.
(ألـ):
في النِّهاية، والبداية
وما بينهما نُطَفٌ مِن لقاءٍ عابرٍ ضَمَّهم وتذبذبَ في الذُّبُول.

عزيزي ميم، عزيزتي ميم

لن تعرف مدى الصعوبات التي مررت بها لأصل إلى هذه الحالة المتّزنة التي تجعلني أقف عند نافذة البيت، وأحياناً من على السقف، وأراقب تحركاتك في الظلام، في السماء المتعالية على طلاَّبها. لن تعرف مدى الإظلام الذي حاق بحدقتي السوداء أصلاً لأتمكن من مراقبة حركة شفاهك بين فينة وأخرى، وهما تنطبقان على عالمٍ من الكلمات الصامتة، غير المنطوقة، على عالمٍ من التآويل المتشابكة التي تربط السياسة بالفلسفة بعيون الأفكار الحربية وكنوز الحكايات السحرية في أيام الخسف والنسف القادمة على هذه البلاد الضلِّيلة، والدة الضليلين الذين، إن طفروا على سطح جلدها، نعلم كم اقتربت ساعة الذبح الكبرى، لحظة تتساوى مخيلة المأذنة مع أنَّةِ قبضةٍ تضربُ فكَّ حارسٍ ليليٍّ مخمورٍ يتسلَّى بأغانٍ قديمةٍ في ذاكرته المترنحة!.

عزيزي ميم، عزيزتي ميم

لا أعرف ما يمكن أن يقال في ساعةٍ كهذه، انتصافُ خفافيشٍ في الدَّم كساعاتٍ مصَّاصةٍ، وانقلابُ خنافسٍ على ظهرها وهي تضحك في ساحات القلب المخرَّقةِ بالجرائم الجماعية المُرتكبة عن قصدٍ سيء الظنّ في براءته!. ياللهول، كم تبقّى من وقت لأحصل على مصابيح غرفتك المعلَّقة بخيوطٍ عدميةٍ وأعصرها على نهديّ وأبكي بحليبي على ضوئها. هل تعرف هذا الوقت؟، يشبه تماماً الحالة المرتبكة من وقوفك لتتبوَّل في شارعٍ عام وتظهر، فجأةً، سيارة مملوئة بعائلة تتضاحك وبضوءٍ ساطع عليك!. يشبه تماماً وقوفك أمام (زبالةٍ) معروفةٍ للجميع كمكانٍ للبول العام وبجانبك شخصٌ يشاركك العمل على إخراج المياه الصفراء الجميلة بأمانٍ يكتنف قلبيكما بضرورة إنجاز العمل بإخلاص!، يشبه تماماً، وبالضبط مُطلقاً؛ أن تستدرج بَوَّالِي المكان العام للبول في الشَّارع العام المحترم، وتأتي بعوائل المدينة وتكشفون المكان بآلاف السَّيارات الفخمة والمحطَّمة، وتشعلون حفلاً من البول والأطفال والولادات القيصرية والانتشاء الآمن الزوجيّ بلا هوادة.

عزيزي ميم، عزيزتي ميم

من الذي صنع الزَّمان إن لم يكن تجويف الصدر المملوء بلحمٍ نابضٍ، حيواناً دمويّاً شرهاً للحركة وضَخِّ الدِّماء؟، من الذي صنع المكان إن لم تكن النَّظرةُ الجَّارحة لمحتويات الهواء المسلَّح بقضبان قوس قزح؟، من هو صاحب البال الآمن، والذي يشاهد كل هذا التكوين دون إفصاحٍ عن طبيعةِ بكائه طبيعة غضبه طبيعة حنانه طبيعة يديه طبيعة أنيابه طبيعة عَرَقِه الملتهب طبيعة أغوار ثيابه الممزقة طبيعة تلقينه للرسالات؛ أعني طبيعة شفاهه طبيعة قُبَلِهِ؛ أعني طبيعة تربة رحم أمِّ حواسِّه المعطَّلة!.

قلتُ أراقب حركتك، أنقلها إلى جسدي بنظرتي، ماصَّاً رجفات الأجفان اللاإرادية، أسخِّن المغص البائن على جبينك وأشربه في الحال وأهرب من بيت أبي وأمي، أهرب من العشّ من البحر من عرين الأسودِ وأعالي الأشجار المكسَّرة بقفزات القردة من كهفٍ تمزِّقه روائح الفرائس من طاقم الأعماق الغارق في سخط نقوشٍ بدائيَّةٍ، أهربُ حُبلى بقلبي على أسنَّةِ المرآة.

تحقيقات كان

أبريل ــ أكتوبر ٢٠٠٧م

١. المُستمِرُّ مُسْتَمرَّاً.
٢. (كُنْ) المَعْرِكَة.
٣. مُعاصرةُ الخُلُودِ بِضَرْبَة.

الـمُستمِرُّ مُسْتَمرَّاً

(إشْرَاقَةُ الـحَيْوَانِ حَيْوَانَه)

(١)

سَلَخْتُ جَسَدي،
في ميدانٍ يَتَلألأُ في صُرَاخِ المَاضِي،
فَكَانَ بُرْكانٌ يَلْعَبُ كالطِّفلِ حول فَمِهِ المحطَّم،
أَسْنَانُ جَسَدِي تَرْتَصُّ صَفَّاً متفحِّماً تَسْتَعدُّ لغزوِ الرَّغبات
هل نُمْتِ في النَّار؟
حَتَّى أصْبَحَ اللَّونُ الأحمرُ إلهاً ليُسَمِّي المَاء ماءاً؟

نَامَتْ فِي تَرْوِيْح النَّار عَنْ نَفْسِهَا
واسْتَسْلَمَت لإشَارَةِ التَّارِيْخ المَمْسُوخَةِ قُبْلَةً تَتَرَقْرَقُ مِن شَفَتَيَّ.

آهٍ
يُورثُ الكَمَانُ أطفَالَهُ أوتَاراً
ويُغلقُ عليْهِم غُرْفَةً مَنْسِيَّةً في تَمْتَمَةٍ أشْرَقَت أمَامَ وَجْهَكِ
وكنتُ سَاحِلاً يُخفي بَحْرَهُ في رائِحَتِه
وكُنتُ حَيَاةً مُسْتَحِيْلَةً تَنْشَقُّ إثرَ انقباضِ كَفِّي على كَفِّكِ الصَّارخ.

(٢)

أَلْمَسُ
وأحْكِي
كأنَّنَي بَشَرٌ
وتَغُوصُ بِجِلْدِي أفْرَاحٌ تَرْتَدُّ عَلَى أنْهَارٍ تَتَلصَّص.
شَرَاراتٌ سَهِرَ عَلَيْهَا بَيْضُ الطَّير ليخْلِقَ نَظْرَتِي
أوعِيَةٌ نَجْميَّةٌ نَاوشَتْها _في حَرْبٍ مَا_ ثَعَالِبَ طِفْلةً لتُومضَ أعضائي
قتيلٌ شبعانٌ في قبره القاني ينحني عليَّ ليلاً ليذكِّرني أني لستُ بشراً،
ويلوِّحُ بجثثِ أحلامٍ أمام أجفاني المُغمضة!
الكوابيس تترادفُ المعاني، وتقوِّمُ شللها علَّني أستيقظُ لأدافع،
لكنني كنتُ مُخلصاً للكواليس؛ حيثُ كنتِ تضفرين شعريَ الذي
لن ينمو بأصابع فانية،
شعرٌ دمويٌّ ببصماتِ إلٰهٍ لم يخلق شيئاً،
ولَنْ.

(٣)

تَقَاعَسْتُ عَن دَوْرِي في حِمَايَةِ الأَسْرَابِ المُهَاجِرَة في اللَّيل،
بل وَشَيتُ بتثاؤبٍ،
وأخْبَرتُ الجِنَّ،
وقبَّلت التُّراب لِكَي تَتَفَجَّرَ جاذبيَّته مُحرِجَةً أجْنِحَةَ السِّرْب!
لمَاذَا؟
لَسْتُ أَعْرِفُ وَجْهي
لَمْ تَكُن الأجنِحَةُ جُزءاً مِنْه.

(٤)

تَتَعفَّفُ البُيُوتُ فَتَنْفَتِحُ عَلَى الجَرَائِم والفَضَائِح،
قُطْعَانٌ ثَرْثَارةٌ تَخْتَرقُ جُدْرَانها يا حَبِيْبِي،
بَيْنَمَا نَتَقَاسَمُ برتقالةً نَبَتَت في نَايِ الرَّاعي،
لنْ نَكْتَرِثَ أليسَ كذلك؟
حتَّى وإن هَجَم الذِّئب
حتَّى وإن هَجَمَ أهلُ البيت عَلَى الذِّئب!.

(٥)

أتَسَلَّقُ ودياناً،
بَيْنَمَا يَنْدَفعُ الدَّمُ فيهَا رَاوِيَاً عَطَش رُؤياهَا.
أخْبرَتْني بأحلامها ـ الوديانُ ـ يَوْماً وراءَ يَوم،
أفشَتْ أسْمَاء الصيَّاديَّن،
وسَمَّمت بَنَادِقَهُم بِنَظَرَاتِ الطَّرَائِد الأخِيْرة.
أَعْرِف،
كُنَّا نَتَمَرَّغ فِي صَدْرِ الوُدْيَان، بَيْنَ الأعشَاب،
ولَم تَنطُقِي باسْمِي لئلا تُوْقِظِي النُموَّ المُتَمَلْمِل في البُذُور،
لئلا تَتَنزَّل وُجُوه الأنبياء وتَدْعُو الدَّم الجَّارِي للتَّوبة.
ولكنَّنِي أُحِبّك!.

(٦)

نُطَفٌ مُلحَّنةٌ تَتَسَابقُ فِي عُرُوقِكِ،
بَيْنَمَا تَنْسفينَ لَوْحةً بأكْمَلِهَا بامْتِصَاصِكِ إيَّاها بحَوَافِرٍ أشْهَرَها قَلبُكِ:
تَنْهَبِيْنَ بِهَا أنْقَاضَ العَالَم،
تَنفُّسَ القُبُورِ،
وأزْهَارَ الصَّلَوَات.
تَحْرُثِيْن بِهَا تَنَفُّسَ اللَّيْل، لتَنْبُتَ أغْوَارُه بِحَوَلٍ جَمِيل.
لَوْحَةٌ بَصَقَ في وَجْهِهَا الإنْسَانُ ليُخْفِي صُوْرَتَهُ؛
ويَحْتَضِنُ يَنْبُوعَهَا المُشَوَّش.

(كُنْ) الـمَعْرِكَة

(الكائن الحي الوحيد هو الموت)

مَكَاتِيْبُ الرُّسُل | حَوْلَ تَفَوُّهَاتِ الزَّمَان:

رَأَيتُ مَا أَصَابَ وَجْهَ الحَمَامَة،
والْمَاءَ الَّذي شَرِبَتْهُ صَبَاحاً،
بَيْنَمَا يمرُّ وَلَدٌ بنَظْرةٍ خَافِضَةٍ أَبْرَزَهَا تَأنِيْبٌ أُمُوميٌّ،
وكَانَتِ الرِّيحُ تُدْرِكُ أنَّ لها أَطرَافاً وحَوَاسّ،
بعدَ أن وَسَّعَتْها أَطْرَافُ الكَّائِنَات.

رَأَيْتُ مَا أَصَابَ كُمُونَ الْمَطَرِ اللَّيْلِيِّ فِي عَيْنِ القِطِّ مُمْتَلِئ
وأُنثَاهُ ـ بِسَهَرٍ عَلَى لِسَانِهَا ـ تُسَرِّحُ شَعْرَهُ،
بَيْنَمَا جَرَسٌ فِي ضَفِيْرَةِ البِنْتِ يَنْمُو عَلَى مَهْلِ أَصْدَائِهِ،
وكَانَ الأَبُ يَفْحَصُ رُجُولَتَهُ بالنَّظَرِ إلى بَابِ البَيْتِ الْمَفْتُوحِ طَوَالَ اللَّيْلِ لأَشْبَاهِ الظِّلاَل.

بَيْنَ هَذَا وذَاك:
كَانَ كَمَانٌ يَعْزِفُ وَحْدَه؛
مَشْلُولَ التَّجْوِيْفِ وعِظَامِ الإيْقَاع،
كان شَرَرٌ يَنْبُعُ مِن فَمٍ يَتَذَوَّقُ آخَراً فِي الزُّقَاقِ الخَلْفِيِّ للبَيْت،
أبْطَالُ الأَفْلاَمِ الكَرْتُونِيَّةِ يَتَسلَّلُونَ مِن أَحْلاَمِ الكِبَارِ مُلُوكاً لا كَابِحَ لحَقِيْقَتِهِم
وشوَاءُ الجِّيْرَانِ يَبْلُغُ أُذُناً نَاضِجَةً تَبْدَأُ أَذَانَ الفَجْر.

يَا لَهَوْلِي،
وأنَا عَاشِقٌ،
يَمُرُّ كُلَّ هَذا اللَّيْل دُونَ أنْ أَعُدَّ أصَابِعَهُ الْمُجْرِمَة!
هَلْ مِن سَبِيْلٍ لإخْرَاجِ الحَمَامَةِ مِن جَفَافِ حَلْقِي،
والْمَطَرِ مِن سُرَّتِي الوَلِيْدَةِ للتَوِّ،
والْمَشْهَدِ الوَسَطِيِّ مِن يَدِي الَّتِي سَتَقْتُل؟.

البَيْتُ
جَسَدٌ
يُوْرِقُ
أَسلِحَةً
وسَاحَاتِ حَرْبٍ
تَتَفَرَّسُ وَجْهَ الكَوْن.

مَا شَابَ | مَعْرِكَةً:

إنْ كَانَ لِهَذَا اسْمٌ
فَليَنْطق بِهِ أَحَدٌ
لتَنْبُتَ عَلَى شَفَتَيْهِ الجُثَثُ أَنْهَاراً مِدرَارَةً بالأُمُومَةِ والحُبّ.

إنْ كَانَ لِهَذا تَارِيْخٌ
فليُؤَشِّر لِعَيْنِهِ أَحَدٌ
لتَسْتَرِيْحَ القِيَامَةُ مِن عِبْئِهَا الطَّويْل؛
أَيَّامٌ تَحْسِبُ أَعْمَالَ الأَحْيَاء والجَّمَادَات،
وتَجْوِيْعُ النَّار لأَجَلٍ مُجَلَّلٍ بالنَّوَايَا والظُّنُون.

كُنتُ فِيمَا يُشْبِهُ سَمَاءً تَزْحَفُ عَلَى بَطْنِهَا،
ظَهْرُهَا لا مَكَانَ فِيْهِ لجُذُورٍ،
فِي الأَعْلَى تَسْطعُ النُّسُور بأجْنِحَةٍ مُظْلِمَة،
فِي الأَسْفَل كَانَتْ الطَّوَابِيْرُ الهَالِكَةُ تَنْتَزِعُ عُيُونَهَا،
تَعْصِرُهَا
لتَخْرُجَ مِنْهَا الحَيَاةُ وتَعْتَرِفُ:
لِمَاذَا يَبْدُو خَيَارُ الوِلاَدَةِ كَأَنَّهُ مِن أَوَامِرِ الْمَوْلُود؟

إذْ يَطْلُبُ الْمَوْلُودُ مُلكَاً ويقوِّضُ صِرَاعَهُ
يَتَجَرَّعُ الجَّهْلَ ويَعْرَقُ يَأْسَاً عَيْنِيَّاً
كَانَ ومَا زَالَ جَسَدهُ سَاحَةَ مَعْرَكَةٍ يَسْكُنُهَا العَرَّافُونَ بِثِيَابٍ خَفِيَّةٍ
ولا تَزَالُ يَدُ خَالِقِهِ مُبْهَمَةَ الْمَعْنَى فِي الأَحْلاَم؛
مَكْسُورَةَ الشَّكلِ خَلْفَ دُمُوعِ كَوَابِيْسِهِ،
فَقَطْ؛
مَخَالبُ اليَدِ بيِّنةٌ
مَا عَدَا ذَلِكَ بِوَجْهَيْنِ يَحْيَا،
بِتَبَادُلٍ لا يَنْفَدُ للقَتْلِ يُسَمِّي نَفْسَهُ.
مَا عَدَا ذَلك؛
سِيْرةُ الخَيَالِ،
بِقُبْحِهِ وعَجْزِهِ،
يَتَمَلمَلُ بأنْفَاسِهِ الأَخِيْرةِ تَحْتَ قَبْضةِ الزَّمان.

مَا كَانَ زَمَاناً تَسْبحُ دَاخِلَهُ:
قُبَلٌ لم تَكْتَمل،
أشْبَاحُ أبْنَاءٍ يَرضَعُونَ ـلا زالواـ مِن أثْدَاءِ أُمَّهاتِهِم
تَمْزِيْقٌ مُسْتَمرٌّ لصُورَةِ الأَبِ
مُبْتَسمَاً
خَلْفَ سِيَاجٍ يَحْمِلُ جَسَدَ ابْنِهِ الدَّامِي.

فِي الثَّانِيَةِ الأُخْرَى
بَيْنَمَا يَحْمِلُ طِفْلٌ قَطْرَةَ مَاءٍ حَيَّةٍ
رَاكِضَاً _بِقُوَّةِ فَنَائِهِ_ نَحْوَ جَدَّته ليُبْهِجَهَا بِلَمَعَانِ القَطْرَةِ،
هِيَ تَتَحَسَّسَ ظَمَأَ حَكَايَاتِهَا القَدِيْمَةِ،
تَعْرِفُ الوُجُوهَ الْمُكْفَهِرَّةَ الذَّائِبَةَ عَلَى سَطْحِ بُوَيْضَاتِهَا الشَّبَحِيَّةِ.

فِي الثَّانِيَةِ الأُخْرَى
بَيْنَمَا تَقْفِزُ الشَّامَةُ مِن نَهْدِ الفَتَاةِ
لتَبْحَثَ عَنْ كَوْنٍ لتُصْبِحَ ثُقْبَهُ الغَائِر،
بَيْنَمَا يَتَحَسَّسُ الوَلَدُ كَيَانَ شَيْبِهِ مُحْتَشِمَاً؛
شيبٌ يَرمُقُ نُطَفَهُ مَطْعُونَةَ الظَّهرِ
يا لَهَا مِن نِهَايَة!.

فِي الثَّانِيَةِ الأُخْرَى
تَعْبُرُ نُبُوءَاتُ الْمَجَرَّةِ كَامِلَةً شَوَارِعَ أَلِفَتْهَا،
تَخْتَالُ بِثَوْبِهَا الرَّمَادِيِّ؛
تَنْقَشِعَ اللُّغَاتُ مِن خَلْفِهَا
كَاشِفَةً جَسَدَ الحَرْبِ البَشَرِيَّةِ تُرَفْرِفُ دَاخِلَ جَمَالِهَا.

يَا جُمْجُمَةَ الوَادِي:
قَرْيَةٌ تَنَامُ دَاخِلَكِ،
مَدِيْنَةٌ تَهُشُّ الكَوَابِيْسَ بَيْنَكُمَا.

يَا جَمْرَةَ الآتِي مِن لَحَظَاتِ ولاداتٍ مُتَتَالِيَة.

الثَّانِيَةُ الأُخْرَى لَيْسَتْ تَالِيَة،
أصلاً بِجَانِبِ (التَّالية) تَحْيَا، وتَفُورُ بِمُقْتَنَيَاتِهَا الأَلَمِيَّة
خَطْفٌ مُسْتَمِرٌّ لآيَاتِ الأَنْبِيَاءِ
نَحْوَ غَابَةِ أَحْدَاثٍ تُبْصِرُهَا العَيْنُ الْمَدْفُونَةُ مِن خَلاَلِ دُوْدِهَا.

الثَّانِيَةُ الأُخرَى مَا يُجَاوِرُ القَتْلَ فِي سَرِيْرٍ طَافِحٍ عَلَى نَهْرِ الأَبَدِيَّةِ: حَيْثُ تَتَلَفَّتُ الغُزْلانُ بِجُرْأَةِ مَاءٍ أَزَلِيٍّ يَنْتَفِضُ مَفْتُونَاً مِن شَعْرِهَا الصَّحْرَاوِيِّ، حَيْثُ الْمَشَانِقَ تُطَارِدُ حِبَالَهَا بِمَا فَاضَ مِن رَسَائِلِهَا لارتِجَافَات أَعْنَاقٍ جَاسَدَتْهَا.

أيُّهَا الزَّمَان؛

لَدَيْكَ تُرَابُ القَبْرِ مَحْمُولاً عَلَى يَدِ اليَتِيْمِ،
يَتَسَرَّبُ مِن أَصَابِعِهِ حَامِلاً مَعَهُ بَصَمَاتٍ ولَيَالٍ أَلْف،

لَدَيْكَ الوَهْب،
وكِبْرِيَاءُ النَّارِ تَتَجَذَّرُ فِي نَسَبِهَا الشَّيْطَانيّ.

وهَلْ لَكَ منَّا عَهْدٌ؟
لتُسَابِقَ رُمُوشَنَا للبُكَاء
لتَلْتَقِطَ القُبْلَةَ من عَاشِقَيْن
وتَقْذِفُهَا فِي حُلْمِ صَبِيٍّ يَعِيشُ فِي القَرْنِ الأَخِيْرِ مِن القِيَامَة؟
وهَلِ الحُب،
ـوما شَابَهَ أَنْحَاءَ أَسْلِحَتِهِ وقَتْلِهِـ
يَتَجَلَّلُ تَحْتَ يَدِكَ الْمُتَفَانِيَةِ فِي الإفْنَاءِ والْمَحْو؟
أُنْظُر للطَّرِيْقِ إذاً،
وَتَغَيَّر لِمَرَّةٍ إذْ لا يَمْشِي عَلَيْهِ أَحَدْ،
ولا تُحْدِث (فِعْلاً) يَشِي بِوُجُودِكَ لِمَرَّةٍ وَاحِدَة،
سَتَرَى حِيْنَهَا:
هَامَاتٍ تَتَسَامَقُ لأسْفَلِ سَافِلِيْن،
حَيْثُ تَكَالَبَتْ أَجْنِحَةُ الْمَلاَئِكَةِ عَلَى دَمِ الحُرُوبِ الْمُتَكَلِّسِ،
وحَاوَرَتْ لُزُوجَةَ الرَّائِحَةِ هُنَاك،
وأَشْبَاهَ الأَصَابِعِ وَهِيَ تُعَلِّمُ أَسْمَاءَ الاتِّجَاهَاتِ بالتَّهْدِيْد
(والجِّهَاتُ ـتَعْلَمُـ مَحْكُومَةٌ بدَوَرَانِ الأَرْض،
وأسْمَاؤهَا شَهْوَةٌ للمَرْكَز)

هُيَامَ الفَتَيَاتِ الْمُرَاقِبَاتِ مَا يَحْدَثُ فِي الأَسْفَلِ يَسْطَعُ؛
أقْمَاراً هُلاَمِيَّةَ الجَّدْوَى واختِيَارَاتُهَا نَافِقَةٌ بِحَسْرَة.

لِمَرَّةٍ قَاوِمْ مَرَارَةَ أَصَابِعِهِنَّ،
ومَرِّر لِسَانَكَ وارْفَعْ بَصَرَكَ إليهِنَّ وقُلْ:
هَلْ للتَّقْوَى مَكَانٌ؛
والإيمَان؟.

في الثَّانِيَةُ الأُخْرَى؛
إنْ شَاءَ الْمَوْلُودُ،
يَرَى الحُضُورَ القَوِيَّ لِمَلاَئِكَةٍ تُوْلَدُ مِنْ صُلْبِهِ
وتَبْحَثُ قَلِقَةً عَنْ أَقْدَارٍ صَنَعَهَا بِيَدَيْه
تَقْتَنِصُ الأَرْوَاحَ وَهِيَ تَحْيَا جَمَالاً لَمْ تُدْرِكْهُ فِي حِيْنِهَا،
إذْ يَسِيْرُ الجَّمَالُ أَمَامَ الرُّوْح،
ولا تُدْرِكُهُ إلا بَعْدَ خُرُوجِ الحُروبِ مِن عَيْنيْهِ الغَائِرَتَينِ فِي الأَبَدْ
تَنَامُ ميِّتةً _بَعْدَ أنْ حَدَثَت_ تَحْتَ حِمَايةِ ظلِّهَا
ودُمُوعٌ تَتَدَحْرَجُ فِي لحَظَاتِ الغَضَب.

وإنْ شَاءَ الْمَوْلُود؛
تَقِفُ حَيَاتُهُ عَلَى صَدرِ الذَّبح،

حَافِرةً جِلْدَهُ بأظَافِرِهَا؛ مُحَطِّمةً ضُلُوعَهُ بأنْيَابِ خَوْفِهَا،
نِهَايَةً بَسَطْحِ القَلْبِ؛ ذِي الإيقَاعِ المُهَاجِمِ الْمَهْجُور،
تَنْحَنِي عَلَيْه كَأنَّهُ الإله؛
سَاجِدَةً بتأمُّلاتِهَا الْمَبْثُوثَةِ فِي تَوَهَانِ العَالَم
ـإنَّهُ يَنْبُوعُ الرَّغبَةِ؛ حَارِسُ الرُّعب!ـ
وبَيْنَمَا تَلْمعُ دِمَاءُ القَلْبِ فِي عُيُونِ حَيَاتِهِ الخَشِنَةِ،
بَيْنَمَا يَتَلاعبُ أَطْفَالٌ ـوُلِدُوا فِي ذَاكَ الْمَكَانـ بِحَيَاتِهِم المُتخيَّلة،
وبَيْنَمَا تَلْتَفُّ الشَّرَايِيْنُ ببَعْضِهَا مُكَوِّنةً مَا يُشبِهُ الوَرْدَة،
وبَيْنَمَا يَتَكَالَبُ الصُّراخُ الْمَحْبُوسُ بالدَّاخِلِ مُنْذُ آلافِ القِيَامَات،
يُسْمَحُ لأرضٍ مُنْتَفِخَةٍ بِجُثَثٍ وذِكْرَيَات
أنْ تَنْطُقَ باسْمِ الإنْسَان.

هِيَ أَرْضٌ، تَتَذَكَّرُهَا
فَتَظْهَرُ للوُجُودِ؛ مِنَ النَّفَسِ والسَّاعِد،
مِنَ الإغْمَاضَةِ،
أَشْجَارُهَا تَخْرُجُ شَرِسَةً مِن بُطُونِ الغِزْلاَنِ الْمَيِّتةِ هُنَاك؛ فِي السَّمَاءِ الذَابِحَة،
أَظَافِرُ بِحَارِهَا تَنْشُبُ فِي أُمُومَةِ النِّسَاءِ فَتَشْهَقُ حُقُولٌ لا نِهَائِيَّةٌ بأثدَائِهِنَّ،
والطَّمْثُ يَهْتَاجُ بِحُبِّهِ للحَيَاة.

هِيَ أَرْضٌ؛
كُسُوفُ قَمَرٍ يَخْرِقُ خُسُوفَ شَمْسٍ بأَعْضَاءِ الضُّوْء؛
هِيَ مَا يَضِلُّ،
ويَسْرِقُ شَهْقَةً أَخِيْرَةً مِن شِفَاهٍ تُحْتَضَرُ ليَسُدَّ رَمَقَ وَحْشَتِهِ،
هِيَ مَا يَرَاهُ الطِّفْلُ فِي نَوْمِهِ طوفَانَاً؛
ويَرَاهُ العَدَمُ فِي دَمْعَةِ الخِيَانَةِ طِفْلاً.

أَرْضُ الْمَعْرِكَةِ أَيُّهَا الزَّمان،
لِمُدَّةٍ ثَانِيَةٍ أُخْرَى،
ثَانِيَةٌ تُنبِتُكَ شَيْبَاً حَيْوَانِيَّاً حَتَّى تَلِدَ أَبَاكَ الْمُحَارِبَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ
أبوكَ بِجَمَالِهِ الْمَيِّتِ يَسُوقُ الْمَعَانِي للذَّبْح،
ليُحَدِّثَ أَعْنَاقَهَا الْمَبْتُورَةَ بَأَنْقَاضٍ وُلِدَتْ فِي حُلمِهِ
حُلمٌ يَسْطُعُ فِيْهِ البَيْتُ الْمَسْكُونُ بِشَبَحِهِ الْمَرْعُوبِ؛
إذْ يَرَى ذِكْرَيَاتِهِ تَتَقَلَّبُ مَشْلُولَةَ الافْتِرَاس فِي ذَاكِرَةِ زَوْجَتِهِ.

أَرْضُ الْمَعْرِكَةِ وَأَحْوَالُهَا،
مَعْرِكَةُ الأَرْضِ وأَبْنَاؤهَا،
والعَرْشُ يَهْوِي فَجْأَةً،
مُحطِّماً مَا دَارَ مِن زَمَنْ.

عَرَاقَةُ القَلبِ تَدُلُّ عَلى وُجُودِ سَوَادٍ مُجَاورٍ دَائِم
واحْمِرَارِ أشْجَارٍ تُغرَسُ على تُخُومِهِ؛ يَلِي الإشَارةَ إليهِ،
سيِّدُ حياةٍ وماضٍ؛
الشَّاهدُ عَلَى بَتْرِ رَأسِ صَاحِبِهِ.
هِيَ ذات الأنْهَارِ الْمُتَوَالِيَةِ تَهْبطُ مِن عَيْنَيهِ
مَا دَامَ يَخْفُقُ فَرِحَاً بإيقَاعِه
اللَّمسَةُ السَّاطِعَةُ مِن تَلَفُّتِهِ فِي الرُّعْب تُطيِّرُ الحَمَامَ مِن السَّاحةِ؛
تُشِيْحُ بِمُشَرَّدِيْهَا عَنِ القِيَامَةِ وأهْوَالِهَا...
أُنظُرُوا:
(ذَرَّاتُ العَنَاصِرِ،
والتَّفَوُّهِ بالرَّغَبَات؛
يَرْكُضُونَ خَلْفَ ألْعَابِهِ وشَغَبِهِ المُكتَّف،
ومَنْ يَتَدَثَّرُونَ بَأَقْمِشَةِ النَّوْمِ والحَنَانِ يَغْرَقُونَ بِغُبَار الرَّكْضِ والتَّعب).

مَا شَاءَ القَدِيمُ
مَا يُسَمِّيهِ بإشَارَةٍ آمِنَةٍ كَانَتْ لأوَّلِ مَرَّةٍ فِي يَدِ آدَم
يَمْنَحُ القَلْبَ حُدُودَهُ،
وَأَنوَاءَ حِقْدِهِ وسَلاَمَةَ بَصَرِهِ مِن الدُّودِ القَبْرِيِّ،
(مَا شَاءَ القَدِيْمُ) يَغرقُ ضَاحِكَاً فِي بَحْرِ الأَبَدِيَّةِ لأنَّ مُنْقِذِيهِ يَتَكَاثَرُونَ

بِنُطَفِ الخَوْف، لأنَّ مَن يَتَوَارُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِ فِي اللَّيَالِي اللاَّهِبَة بأشْبَاحِ أَجْسَادٍ تَتَدَاخَلُ فِي سَمَاءِ العَالَم، لا تَلْمَسُهُم أَمْطَارُ العَرَق؛ خَفَافِيْشُ اللذَّةِ تَمْرُقُ مِن أَظَافِرِهِم بِصِيَاحٍ يَخْرِقُ العَمَى مُشَوِّشَاً هُدُوءَ خيالِهِ.

وَهُوَ كَذلِك،
قَافِلَةُ التَّرْمِيْلِ تَشُقُّ الأَرْضَ بِحَوَافِرٍ ميِّتةٍ نَحْوَ الْمَمَالِكِ القَدِيْمَة
حَيْثُ الحُورُ مَنْقُوشَاتٌ عَلَى الأَسَاوِر البَاكِيَةِ
كُتُبُ الشَّيَاطِيْنِ مُتْرَعَةٌ بأفْوَاهٍ جَائِعَةٍ يُطْعِمُهَا بَيْضُ الطَّاعَةِ الْمُجَنَّح،
السَّلاَمُ المُلقَى عَلَى كَاهِلِ فُرسَانِهَا مِيزَانَاً مُتَوَرِّمُ النَّوَايَا؛
وشُحُوبُهُ يَتَحَدَّثُ مُكرَهَاً بالْمَعْرِكَةِ القَادِمَة.

قَافِلَةٌ:
نَجْمَةٌ مُخَرَّبةٌ بِنَبَضَاتِ سَيِّدِهَا الفَضَاء،
حَرْبَةٌ تُسْهِمُ الفَرَائِسُ فِي صِيَاغَةِ قَبْضَتِهَا.

تَتَلاَحَقُ أَنْفَاسُ الأَنْقَاض:
الَّذِي زَالَ؛
يُرَى شَبَحَاً سَكْرَانَاً؛
طَيْفَاً مُغَازَلاً مِن جنَّاتٍ تُبْنَى فِي يَدِ القَتَلَةِ،

الَّذِي جَارَ عَلَى وُقُوفِهِ الغَارِقِ الخَلاَّق،
يُنَكِّس أَكْوَابَاً بِتَلاَمُسِهَا تُطلِقُ ألْحَانَ قُضْبَانٍ رَاقِصَة.

تَتَلاَحَقُ أَنْفَاسُ الأَنْقَاض:
وتُرَى أَجْسَادٌ مَقْضُومَةُ الأَطْرَافِ والجِلْدِ
تَرْفَعُ الجُدْرَانَ
الرَّابِضَةَ بِتَهَشُّمِهَا
فِي مُوَاجَهَةِ الزُّهُورِ مِن تَحْتِهَا
تُطِلُّ مِنْ بَيْنِ الكَرَاسِي المُعْدَمَةِ بِخُيُوطِ عَنَاكِبٍ وُلِدَت مِن جُلُوسٍ غَابِر.

تَهرُشُ الأَجْسَادُ صُوَرَاً لَهَا فِي الْمَاضِي،
تَتَكَوَّنُ عَلَى الغُبَارِ الْمُلَثَّمِ بِدُمُوعِهِ؛ الحَائِمِ كَمُنْتَقِمٍ،
تُقَشِّرُهَا مُبْرِزَةً أَصْنَافَ أَنْبِيَاءٍ،
وحَدَائِقَ تَزْحَفُ باتِّجَاهِ عُيُونِ خُضرَتِهَا الْمُلْتَهِبَة.

سماءٌ بصدرٍ شهيٍّ تَقْتَرِبُ مِن الأَجْسَادِ وَهِيَ مَشْغُولَةٌ بِمُرَاقَبَةِ صُوَرِهَا طَالِبَةً لَهَا الْمَغْفِرَة،
تَقْتَرِبُ مِنْهَا كَامِيْرَاتُ تَصْفِيْقٍ مِن الجِّهَاتِ الأَرْبَع، تَحْمِلُهَا الرِّيحُ،
تَتَقرَّحُ مِن تَحْتِهِمْ بِمَلَلٍ أَنْيَابٌ تَنْتَظِرُ اللَّيْل.

أيُّ عَالَمٍ يُشبِهُ هَذَا اللَّيْلَ القَادِمِ؟
أيُّ لَيْلٍ يَقْتَادُ عَالَمَاً إلى مَضَارِبِ أُمُومَتِهِ النَّائِحَة؟.

تَتَلاَحَقُ أَنْفَاسُ الأَنْقَاض:
أَجْسَادٌ مُمَزَّقةٌ تَرْكُضُ فِي الرِّيْح
اتِّجَاهَاتُ الأَرْضِ تُحدِّدُ اسْمَهَا مِن اتِّجَاهِ الدَّمِ الْمُتَطَايِرِ مِنْهَا،
والنُّسُورُ
تَتْرُكُ مَنَاقِيْرَهَا ـبَيْنَ الحَيَاةِ والْمَوْتِـ عَلَى رُؤُوسِ الأَجْسَاد،
جِبَالٌ تُشِيرُ إلى الغُبَارِ الْمُثارِ مِن سُقُوطِ الأَصَابِعِ الذَّاهِلَةِ،
أنهَارٌ تَرَى قيْعَانَهَا تَتَلألأ عَبْرَ الظُهُورِ الْمَثْقُوبَةِ بالقَذَائِف.

أدرَاجَ الرِّيْاحِ إذاً أيُّهَا العَالَم
والأَبْرَاجُ الْمُتَبَخِّرةُ مِن فَمِكِ الْمَفْتُوحِ باتِّجَاهِ الغَنَائِمِ السَّماويَّةِ
دَعْهَا تُغنِّي بالأَقْمِشَةِ الحَرِيْرِيَّةِ والذَّهَبِ الذَّائِبِ الْمُتَفَشِّيين بأنفَاسِهَا العُليَا.
فَمُكَ البَاحِثُ بلسَانِهِ الْمَشْقُوقِ عَن مَذَاقِ خُلُودٍ خَلْفَ حُجُبِ الْمَوْت،
إرمِهِ بِـحَجَر؛
حَجَرٌ هُوَ بِنْتٌ تُسَاقُ للذَبحِ بضَفِيْرَةِ أمِّهَا
ونَدَىً يُحرَقُ بِخُضْرَةٍ تَنْعَكِسُ عَلَى وَجْهِهِ الْمُتَوَسِّل.

خَالِقٌ بِكُلِّ هَذِهِ الْهَيْبَة؟
أَسْمَاكٌ صَغِيْرَةٌ تَخرُجُ مِنْ قَدَمِهِ الصَّحْرَاوِيَّةِ ليَتَلَقَّفَهَا طُعمٌ مَائِيّ؟
يسمِّي الموْت؛
يَتَأَرجَحُ عَلَى سَرِيْرِ أَوَامِرِهِ،
لكنَّ والِدَةَ الْمَوْتِ لَمْ تَجِدْ مَنْ يَقْتُلهَا؛
هِيَ الوَحِيْدَة.

أَخْبِرْنِي بِسَلاَمَةِ الجِّدَارِ الَّذِي وَجَّهتَ خلاياه لتَنْطِقَ الغُمُوْض؛
غُمُوضٌ يَلُفُّ نَظْرةَ الأُنثَى فِي لَحْظَةِ سُقُوطِ ظِلٍّ مُرْبِكٍ عَلَى نَهْدِهَا،
يَغْشَى هُيَامَ الأَعْمَى بابْتِسَامَةٍ لا تَلِيْن،
ويُسَمِّرُ نَظْرَةَ القِطِّ فِي الظَّلامِ نَحْوَ القَادِمِ الْمَجْهُول.

الرِّيْحُ الَّتِي أَطْلَقْتَهَا تَمرُّ بشَعْرِ امْرَأةٍ
ويدِ طِفْلٍ مُلَوَّثةٍ بِطِيْنٍ
وسُورِ حَقْلٍ تَتَرَبَّصُ بِهِ الثَّعَالِب.

الرِّيْحُ؛
(ومَا شَاءَ لَهَا أَنْ تَكُون دَاخِلَ مُبَاغَتَةٍ تَمُوتُ عِنْدَ طَرَفِ الوَرَقَةِ اليَابِسَةِ. الورقةُ أُمُّ الشَّجَرَةِ ولَكِن لا تَدْرِي).

بالرِّيحِ أُدَاوِي شِفَاهِي،
والَّتِي بِهَا تَذَوَّقْتُ الثَّمَرَةَ،
والشِّفَاهَ الأُخْرَى،
والاسْمَ،
والدَّمَ الْمَوْلُودَ لِتَوِّهِ لِيَظْهَرَ الجُرْح.

أُدَاوِي بِهَا رِئَتِي
وهِيَ البَارِزَةُ أَمَامَ أَرْضِ الرَّغبةِ الشَّاسِعَةِ
تَحْرِثُهَا بالضُّلوْعِ،
تَرْمُقُهَا بالتَّنفُّسِ الْمُنْتَظِم،
تَنْتَظِر.

إذَاً؛
خُشُوعٌ مُسْتَحَقٌّ أَيُّهَا الخَالِق؛
مُقْتَنَيَاتُكَ امْتَلَكَهَا العَالَم،
والكَائِنَاتُ مِن بَعْدِهِ سَارَتْ فِي طَرِيْقِ الزَّمَانِ وطَارَتْ لأَجْلِهَا،
سمَّمَتِ الفَضَاءَ بتَحْدِيْقِهَا
نَامَتْ فِي كُمُونِ الذُّنُوبِ بِجُفُونٍ تَجْرَح
وَهَاجَمَت صُوْرَةَ القَتلِ فِي انْشِرَاخِ الوَجْهِ إلى ظُلْمَتِيْن.

صَرَخَ
خَيَالُ
البِذْرةِ،
صَرَخَتْ قَطَرَاتُ البَحْرِ الْمُتَبَخِّرَةِ عَلَى مِشْنَقَةِ الحَرَارَةِ،
وَأَفشَت سِرَّ الطَّيَرَان.

خُشُوعٌ مُسْتَحَقٌّ
ومِن بَيْنِ أَوْصَالِهِ يَنْزِفُ اللَّيْلُ ذِئَابَهُ:
إنْ كَانَ للبَرْقِ رَائِحَةٌ لِخَلَقْنَاهُ بالدَّمْعَةِ
وإنْ كَانَ للنُّجُومِ لُغَةٌ لأشَارَت بالنَّار.

أَدْرَاجَ الرِّياح:
أَوْرَاقُ الأَشْجَارِ تَسْقُطُ عَلَى فُسْتَانِ الشُّحُوبِ الْمُتَآكِلِ عَلَى شَكْلِ فَتَاةٍ
والشَّجَرَةُ لَيْسَتْ هُنَاك!
مُوْسِيْقَى _فَقَط_ تَلْتَفُّ تَحْتَ الأَرْضِ جُذُوراً لِهَبَاءِ الشَّجَرَةِ
أَغْصَانُ نِيْرَانٍ تَتَرَاقَصُ فِي الهَوَاءِ كَأَنَّهَا تَمْلُكُ الحَرَكَةَ كُلَّهَا.

مِنْ كُهُولَةٍ فِي الحُبِّ
يَخْرجُ سَقْفُ البَيْتِ
يَتَحَدَّثُ عَنْ أَبْوَابِهِ الهَارِبَةِ بِبَصَمَاتِ القَتَلَة
يَحْكِي عَن عِنَاقَاتٍ تَنْسَلخُ عَن الجُدْرَانِ لتَحْيَا فِي الظَّلام القَدِيْم؛
قَدِيْمٌ حَدَّ تُرَى نُطَفُ الضُّوْءِ البِدَائِيَّةِ تَتَدَاخَلُ
_كَهَلْوَسَةٍ فِي ذِهْنٍ يَتَحنَّطُ_
دَاخِلَ دَمْعَتِهِ
تَخْلِقُ الفَضَاءَ اللامُتَنَاهِي لنَظْرَةِ الفَتَاة.

عَاصِفَةٌ تَتَقَدَّمُ بَيْنَمَا يَتَرَاجَعُ حُطَامُهَا فِي رُؤْيَةِ الآتِي،
آلاتٌ طَائِرَةٌ تُعَرِّفُ ذَاتَهَا بأَسْمَاءٍ وَهِيَ تَسْجُدُ للفَتَاةِ على بِلاَطٍ لَيْلِيٍّ،
قَنَابِلُ تَرْتَصُّ خَلْفَ بَعْضَهَا نَمْلاً فِي طَرِيْقِهِ للتَّخْزِيْن،
والشِّتَاءُ يَحْيَا بِصَوْتِ الخَطَوَاتِ إذْ هِيَ نَبَضَاتُ قَلْبِهِ.

العَاصِفَةُ؛ وُجُوهٌ قَاسِيَةٌ تَتَكَلَّسُ وتَتَبَدَّلُ فِي جِلْدِ الفَتَاةِ الجَمِيْل
مِنْ مَسَامِهَا تَنْطَلِقُ أَنَّاتٌ مَكْتُومَةٌ
وجَفَافٌ يَسْتَفْحِلُ فِي عَدَمِ العَالَمِ الخَفِيِّ
لَمْ تَكُن تَعْرِفُ اسماً للوْنِ نَهْدِهَا؛
ولا السَّائِلِ الجبَّارِ الْمُتَدَفِّقِ عَبْرَ عُرُوقِ صَدْرِهَا خَارِقاً جَسَدَهَا،
نَاقِلاً أَشْبَاحَهَا وأَسْلاَفَ عُشَّاقِهَا.

لِمْ يَكُن لقَبْرِهَا الْمُفَتَّتِ فِي رَاحَتِهَا شَبَهٌ بالرِّيْح،
لتَتَقَدَّمَ العَاصِفَة.

لَمْ نَصِلْ لِتَسْوِيَةِ الأَمْر
الثَّوْرُ الْمَلَكِيُّ القَادِمُ مِن جَحِيْمِ العُرُوشِ يُغَنِّي بِصَوْتٍ يَنطَحُ الفُحُولَة!
الغَزَالُ الْمُورِقُ بَيْنَ الدُّمُوعِ يَتَشَرَّبُ هُرُوبَهُ ولا يَرْتَوِي!
الشَّحنُ المُثبَتُ الْمُتَدَفِّقُ مِن خِنْجَرٍ عَلَى سُمِّ تِجَارَةٍ خَاسِرَةٍ للظَّهْر!

لَمْ نَصِل لِتَوْرِيَةِ الأَمْر.

العَقَارِبُ؛ أيُّ سُمٍّ، أيُّ فَاكِهَةٍ تُوْرِثُ أَجْيَالَ نُضْجِهَا التِّيْه؟
الذِّئَابُ؛ أيُّ لَيْلٍ، أَيُّ صَحْرَاءٍ تَشْنِقُ الفَرَاشَاتِ النَّائِمَةِ بِسَلاَم؟
أيُّ صحراءٍ؛ سِبَاقٍ مُراقَبٍ بَيْنَ السَّحَابِ والسَّرَاب؟،
(مَنْ مِنْهُمَا يَسْتَدِرُّ حَيَاةَ الآخَر؟!)
النَّارُ؛ أيُّ ثَبَاتٍ نَبَوِيٍّ، أيُّ آيَاتٍ تُتَمْتِمُ بِهَا وُشُومٌ مَرْسُومَةٌ عَلَى بُطُونِ الحَوَامِل؟!

لَمْ نَصِل لتَنْجِيَةِ الأَمْر،
إذْ فِي الْمَعْرِكَةِ:
الرَّايَةُ تَعْمَلُ وَحْدَهَا
مَجْدٌ غَامِقٌ يَلْهُو بلُعَابِ ذِئبٍ يَتَوَالَدُ فِي تَقَرُّحَاتِهِ،
القَدَمُ مَبْتُورةً تَخْلعُ عَنْ خَطَوَاتِهَا مُكَوِّنَاتِ التُّرَابِ وبدَمِهَا تُجَانِسهُ،
السَّقْطةُ المُكَلِّفةُ الأَكِيْدَةُ لدَمْعَةِ الْمُقَاتِلِ تَتَوَرَّدُ بِخَجَلِ الرَّصَاص،
بالدَّوِيِّ ومُخَلَّفَاتِهِ تَتَعَارَفُ الأَصْوَاتُ بَيْنَ بَيْن،
السَّانِحَةُ _حَيْثُ فَرَّ قمَاشُ المَلِكَات_ تُقلِّمُ ضَمِيْرَهَا أَمَامَ مِشْنَقَةٍ تُضْفَرُ فِي حَالِ رَمَادِهَا.

فِي الْمَعْرِكَة:
(لا أَحَدٌ) يُغلِقُ مَصْرَعَ نُطْقِهِ دَاخِلَ كَهْفٍ مُضَاءٍ بالخَفَافِيْش،
والْمُسَاوَمَاتُ جَارِيةٌ إبَّانَ جِلْدٍ يَتَعَبَّدُ أَمَامَ كُلِّ لَمْسَةٍ نَاوَشَتْهُ بوَحْشَتِهَا.

مَكَاتِيْبُ الزَّمان | عَلَى عُيُونِ الرُّسُل:

كأنَّنِي كُنْتُ مِن قَبْل؛
صَوْتاً يَسْتَخِفُّ بوَفَائِهِ للصَّدَى،
قِطَّاً يَنَامُ بِجَانبِ سَيِّده الْمَفْقُود،
شَعْراً يَحْمِلُ رَائِحَةَ سَيِّدَتِهِ ويُدَاعِبِ الرِّيح.

بيَدَيْنِ مُرْتَجِفَتَيْن سَجَنتُ الْمَكَانَ العَالَمَ داخِل،
تَرَكْتُ بَصَري يَجُولُ بِمِرآةٍ مَكْسُورَةٍ تَتَنَفَّسُ أَمَامِي
رَأَيْتُ الحَيْوَانَاتِ تَنْفَصِلُ عَنِّي
مُخَلِّفةً جِرَاحَاً تَنْدَمِلُ بصُرَاخٍ هَادِئ
رَأَيْتُ السَّمَاءَ كَامِلَةً تَدْخُلُ الْمَسَامَ عَابِثَةً بِجَاذبيَّةِ الدَّمِ والخَلاَيَا.

كَأَنَّنِي كُنْتُ مِنْ قَبْل؛
عَلَّقتُ أَبْوَابَ أَعْضَائِي عَلَى صَلِيْبٍ
عِنْدَمَا مَرَّ شَجَنٌ بِخَدِّي،
ـو يَدٌ نَاعِمَةٌ تَجُوسُ بِقَلْبِي ـ
تَرَكْتُ الأَنْبِيَاءَ للطَّرْقِ الْمُسْتَمِرّ.

هَذَا الكَوْنُ
هُوَ مَن يَسْبَحُ الآنَ فِي العَيْن،
وسَوَادُهَا الْمُستَدِيْرُ نَوَاةُ انْفِجَارِهِ القَادِم.
أَتَأرجَحُ دَاخِلَ سَائِلٍ يُدعَى دَمْعَةُ الأمّ
أَسْقُطُ مُرْتَطِمَاً بزَفَرَاتِ الأَبِ الْمُتَسَارِعَةِ
ومَا بَيْنَهُمَا مِن تجمُّدٍ أُدْخِلهُ _سَالِمَاً_ عِظَامِي
مُكَوِّناً تَمَاثِيْلَ قَاسِيَةً
أتعبَّدُ تَحْتَ ظلاَلَهَا فِي اللَّيْل
أَمْتَصُّ نِيْرَانَ حَرَكَاتِهَا الْمَكْبُوتَةِ
وأَصِيْرُ الإعصَارَ الْمُنْتَهَك
خَالِدَاً فِي الجَحِيْم.

تَدْخُلُ مَعَ التَّفَسِ آلافُ الطُّيُورِ إلى رِئَتَيَّ
يَدْخُلُ خَلْفَهَا الشِّتَاءُ الَّذِي هَاجَرَتْ مِنْهُ
تُظْلِمُ التَّمَاثِيْلُ فِي الدَّاخِلْ:
كَأَنَّنَي صَخْرَةٌ بأرْوَاحٍ قَابِلَةٍ للنِّسْيَان؛ ومِنْ ثَمَّ الحَيَاة..
يَاه...
هَذَا الْمَلَكُ الْمُخْفِقُ فِي مَهَمَّتِهِ يَقْطُرُ مِنَ أَصَابِعِي
واليَدُ فِي تَوَهَانِهَا تَتَخَبَّطُ فِي عَدَمٍ يُوَاجِهُ جَسَدِي...

إنَّنِي الزَّمانُ؛
ولَيْسَ لِقَلْبِي غُرَفٌ لأُسْكِنَ فِيْهَا مَا تَحْمِلُهُ الأَرْضُ عَلَى ظَهْرِهَا مِن أَقْدَار،
وهَذِه العُيُونُ الدَّافِئَةُ، لأيِّ جِهَةٍ مَجْرُوحَةٍ في صُراخِي تَنْتَمِي؟

كُنْتُ أُتَابِعُ الأَبْرَاجَ تَتَصَاعَدُ مِن ظُهُورِ الحَشَرَاتِ،
وكَانَ كَمُّ اللَّذَّاتِ الْمُؤَجَّلةِ يَتَفَتَّتُ مِن طِيْنِ الأَبْرَاجِ الأَعْمَى
وفِي يَدِ لَحْظَةٍ
كَانَتِ الدُّنيا ومَا يَلِيْهَا مِنْ رُعْب
تَقَلَّصَت عَضَلاتُ الشَّيْطَانِ والإلَه
وكَانَتِ الدَّمْعَةُ ضَرِيْحَاً لأَحْجَارٍ مَيِّتةٍ
بَعْثَرَتْهَا الصُّدْفَةُ بَيْنَهُمَا
ليُكْمِلا لُعْبَةَ الاتِّهَامَات..

رُغْمَ كُلِّ هَذَا السِّحْرِ الْمُحِيْطِ بِي،
لَمْ أَعْشَق سِوَى كَوْنِي مُسَبِّباً لِحَرَكَتِهِ الدَّائِبَة
سِوَى لَفْظِي لأَنْفَاسِيَ الأَخِيْرَةَ عَلَى عُيُونِ الْمَوْلُودِ الْمَرْعُوبَة...

كَانَ عَلَيَّ أنْ أَكُونَ الْمَكَانَ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ
وبَعْدَهَا فليَكُن الْمَوْت،
_هَذا الَّذِي يَحْيَا بِخَفَقَاتِ قَلْبِي_
قُبْلَةً تَائِهَةً بَيْنَ قُبُورِ قَلْبِيَ الكَثِيْرَة.

كَأَنَّنِي كُنْتُ مِنْ قَبْل.

مُعاصرةُ الخُلُودِ بِضَرْبَة

نَتَّفِقُ عَلَى حَدٍّ أدْنَى مِنَ المُنَاوَشَة
أنتَ في الطَّرفِ السَّامي من المبارزة
وأنا في أَغْمُصِ التَّعبير عنها.
بيننا صَحراءٌ جَمِيْلةٌ بأذرعٍ كلها أقمارٌ وشَيَاطِين
بيننا سُيُوفٌ تتقارعُ في الهواء بلا محاربين
بيننا بئرٌ يُرمَى فيها بالجثث
بيننا دمُ الشُّجَيْرَات الصغيرة؛ دَمُ السَّراب.

تقاربنا،
واحتوينا جرَّةً وُلِدت إثرَ مُلامَسَتِي لَكَ،
طَفرت امرأةٌ أخيراً، وصَدَحت بماءِ أغوارِهَا المتفجِّرة في كَلِمَاتِنَا
لبَعْضِنَا: أيُّنا كانَ يَدَهَا، وأيُّنا كان دُمُوعَهَا؟
هل الطِّفل ذُو الشَّعر النَّاري يَسْتَطِيْعُ المساس بِوَجْهِ القَتْلِ الحَائِمِ
بَيْنَنَا كَرَائِحَة؟

إن الجَّوهر كَامِنٌ، وهو أنْت
وهو الحيُّ؛ أنْت
ونحنُ الغَافِلِيْنَ عن تَبَلْوُرِكَ الْمُفَاجِئ
حتَّى أن ملاحظة وجودك تَخْلقُ الْمَخَالِبَ الْمِسْكِيْنَةَ؛ الذَّاوِيَة باتِّجاه الصُّراخ
هل رأيت الغُرْفة التي حبستنا، وأخْرَجَتْ أبوابَهَا ـ كفِلِذَّاتٍ جَبَانَةٍ ـ من جَسَدِهَا الحَيِّ
وكان أنْ حَطَّم الأبوابَ الكَثِيْرُ من الأَطْفَال النَّاريين
واندفعوا يَخْنِقُونَ أطيافاً خَلَقَهَا سَمَرٌ نَزَفْتَهُ من جرَّاء مُعَاصَرَتِكَ المؤلمة للعَالَم؟

قوائمٌ تنهبُ الصُّراخ؛
خيالٌ رِيحيٌّ يمرُّ؛
دوائرٌ من الأطفال تَتَذبْذَبُ من مَرْكَزِهِ،
ويا تُرَى،
كم من الماء يَتَجمَّعُ عند ضِفَافِ الأفوَاهِ الصَّارخَة،
ويا ليتَ شَيْبَ الرِّمال المسكوبةِ على الألسنِ يَحْدودبُ قبوراً
ومَجَادِيف.

قَوَائِمٌ تَنْهَبُ الصُّراخ؛
السِّيقانُ الجَّمِيلةُ تَبْرُزُ من خلفها مَخْلوفةً فوق بَعْضِهَا البعض،
كَوَاكِبٌ من إشاراتٍ وفُجُورَاتٍ طيِّباتٍ، كواكبٌ تُنْتَهَكُ مساراتها الدقيقة دون أن تصطَدِم
أقْمَارٌ مُشَرَّدةٌ تَتَسَوَّلُ كواكباً في الانهيارات القديمةِ للشفاه الصَّارخة.

منَ الأكْوَانِ الجبَّارة على لَحْمِ سِيَاجِهَا وحُدُودِهَا،
من الدَّمعات البُسْتَانِيَّةِ في شُرُوقِ بَوَّابَاتِ الظَّلام من القَبْضَة،
مِن تَحَوُّرات العَيْن على جَوَاهِرِ التيجان العَاكِسة،
من مُرَاقَبةِ فَيْضِ ألوَانٍ بَخِيْلٍ يَأكُلُ الهَوَاءَ؛
تَنْبُعُ الكَيَانَات الصغيرة مبتلَّةً بالمذابحِ الدَّوارة
تتضاربُ مصالح الأيام عند لقاءٍ سريٍّ لإناثٍ وذكورٍ في الصُّراخ.

قوائمٌ تُكوِّرُ الأرحام للولادة
تُضعِفُ الوَتَرَ ليَنطُق
تجمِّدُ النَّار لتَحْرِق
تحرثُ الفضاء الليليّ بالغيوم
تُرغِمُ الجذر على الرقص فتتفتت تربة الأرض.

قوائمُ تركُضُ هاربةً من أفعالها أُفقيًّاً
حَافِرَةً في عَوَائِلِ الهَوَاءِ شَجَرَةً مَحْشُوَّةً بالخُلُود
صَفْصَافٌ مُرْفَقٌ بالبُطُولَةِ وانكِسَارَاتِهَا
شُعُوبُ فؤوسٍ ليس عَلَيْهَا أن تَضْرَبَ الشَّجرة؛
فهيَ تَنَقُّسَهَا؛
وجهَاتٌ تُؤشِّرُ إليهَا حَوَافُّ الأورَاقِ الَّتِي تُشْبِهُ الحَدَّ القَاطِع.

مَسِيْرةُ الآلهة السَّاحِرَة في الضَّباب؛
تَجْرَحُ الأرضَ بقَبْرٍ،
تَتَنَاسَى حجم اللَّحْمِ الْمَدْفُونِ،
تَتَعْامَى عن جَفَافِ العُرُوقِ وانتفَاضَاتِهَا داخل التُّراب
تغارُ من إضاءة الحَفْرِ في السَّاعد المودِّع
الغُمُوضُ الْمُلتاثُ في مَضغِ الرِّياح الْمُستمرّ لفَمِ وجَسَدِ وأضْرَاسِ
وعَوِيْلِ الظَّلامِ الْمُتَفَحِّم في عَيْن الجثَّة.

مَسِيْرةُ الآلهةِ عَبْر الزَّمان:
إخْفَاقٌ في تَلمُّسِ الثِّياب الفَضْفَاضَةِ لأنوارِهَا،
تَوردٌ مُتَبَاكٍ على اليَدِ الضَّارِعَةِ أمام تَجَاعِيْدِ الْمَرَايَا.
الْمَسيرةُ:
يا هُيَامَ الرُّمُوشِ في مضائِقِ التَّجرُبَةِ الْمَرِيْرَةِ للدُّمُوع،

يا بُذوُرَ الخَلاصِ الْمَتَسَالِخَةِ في فَضَاءِ الصُّراخ
والقوائم مُرْتَفِعَةٌ دون جَسَدٍ:
لا الحصَانُ مَبْتُوراً في مواضِعِ الأجنِحَة
لا الثَّور الشيطانيُّ الْمُتَوَاثِبُ عبر الأنفَاسِ المتلاحِقَةِ للخَلْقِ الخَامِد
بل خَلْقٌ متواترٌ للبُثُورِ على وُجُوهٍ لم تُوْلَد
وجُوهٌ ولِدَت تُقهقهُ طُيُوراً تَفُرُّ من بيْنِ أغْصَانِ الشَّجَرَةِ الخَالِدَة،
أذْهَانُ الجَمْرِ تُورِقُ في البُحَيْرَاتِ الْمَهْوُوسَةِ بالتَّخفِي بِبَطْنِ الأَرْض،
تُورقُ أشْبَاهُ خِيَانَاتٍ وتَقَاطُعاتِ أمَانَاتٍ مُوَرَّثةٍ بالقَهْر،
مِثْل موسيقى لا تُدرِكُهَا الوَسَاوسُ والكوابِيْسُ إلا لتَحْيَا.

كانَتِ القَوَائِمُ تَحْفُرُ الماضِي لتَدْفِنَ بُرازها،
تَحْفِرُ الآتي لتَنْبُشَ كلَّ شَيء،
كل شيءٍ في الأصلِ لَيْسَ بِمَنْبُوشٍ؛
عُذْريٌّ دَاعِرٌ يتلألأُ في نِهَايَةِ الْمِحْوَرِ الْمُتَنَاسِلِ للعُرُوشِ السَّماويَّة،
يَتَدَاخَلُ في الدَّكِّ الْمُسَالِمِ لقُبْلةٍ تَضُمُّ رُفاتَهَا وتَنْتَحِبُ في الطَّريق
إليها وحِيْدة.

أيَّتُهَا الجُّذور
أنتِ الشَّجرة:
أوراقُكِ التُّراب،
ولُغَاتُكِ الْمُنْدَثِرَةُ مِيَاهٌ تَتَمنَّعُ عليكِ وتَتَلَوَّى بين ذَرَّات التُّراب الثَّائرة.
ما يَتَصاعدُ مِنْكِ أعلى التُّراب:
حَرِيْقٌ مأجُورٌ بِجُذُوعٍ وأورَاقٍ مُسَمَّاةٍ بِلَغَط،
ما يَتَصَاعدُ مِنْكِ طُيُورٌ سَتَسْكُنُ، وتتعلَّمُ الطَّيرَان اتِّقاءَ طَوَفَانٍ مَوْعُودٍ بشَكْلِكِ الحَفَّار الفُضُوليّ.

الشّجَرة

(خريطةٌ مُقترَحة لإنبات السّلالة)

٢٠١٢- ٢٠١٤م

[رأيت أمامي البحار تَستَحدِثُ الغيوم، ورأيت، كذلك، جُثَث المُستَهلَكين تستحدث اللغات؛ فمنهم تُضربُ جذور الجحيم في قاع القلب، وتُفرزُ أشعة اليأس الخالدة. وعندما تتقارب القلوب العظيمة في أزمنةٍ كهذه، تقف ضلوع الكون في مواجهتها، والقلب الكبير النابض بالنار وأغوار الشياطين، يَبرزُ وكأنه أصل الحياة. كيف نتقبّل السوء الذي زَرعناه بأيدينا في أجسادنا ولحمنا دون أن نُقاتل؟ كيف نستحدث الغيوم دون أن نشكّ في أصلها المائي في أحشائنا؟. إننا نسير في الحياة وما من مُقابل، نبذل سلالة الدمع مليئة بالذكريات دون وعاءٍ يتحمَّل، فلَنَا الغضبُ يُبرّرنا، والنزوع إلى التكوّم داخل ذرات الروح والبكاء بداخلها، وطن. إن لم نتنفَّس، من حينٍ لحين، لتُغضب الأحياء الجميلة ونتملّص، بذلك، من ثياب الأنبياء، لكان نَحرُ العروق الأصليّة في أجسادنا مُبَرراً، لكان صعودنا الجليل إلى أعلى قمم المياه مُستحيلاً، لكانت الغيوم تكره رؤية وجوهنا، ولما ساعدتنا آلهة التراب الغريزيّة القاتمة، هنالك في الأسفل؛ وفي الأسفل تولّدت الأرواح القديمة وهاجرت صوب أحزاننا، أخبرتنا بحقيقتنا القديمة، بأرواحنا المُتسبعدَة، لكن الإيمان في الحياة تجرّأ بتسطيحه لكل شيء؛ حتى غدا كلّ لونٍ جديداً على اللون، وكل شجرةٍ غريبةٌ عن الشجرة.

في عالمٍ كهذا، كيف يستطيع الحبُّ أن يُقاوم؟

ليس له سوى أن يُقاوم، فمنه سينبع العالم الغريب].

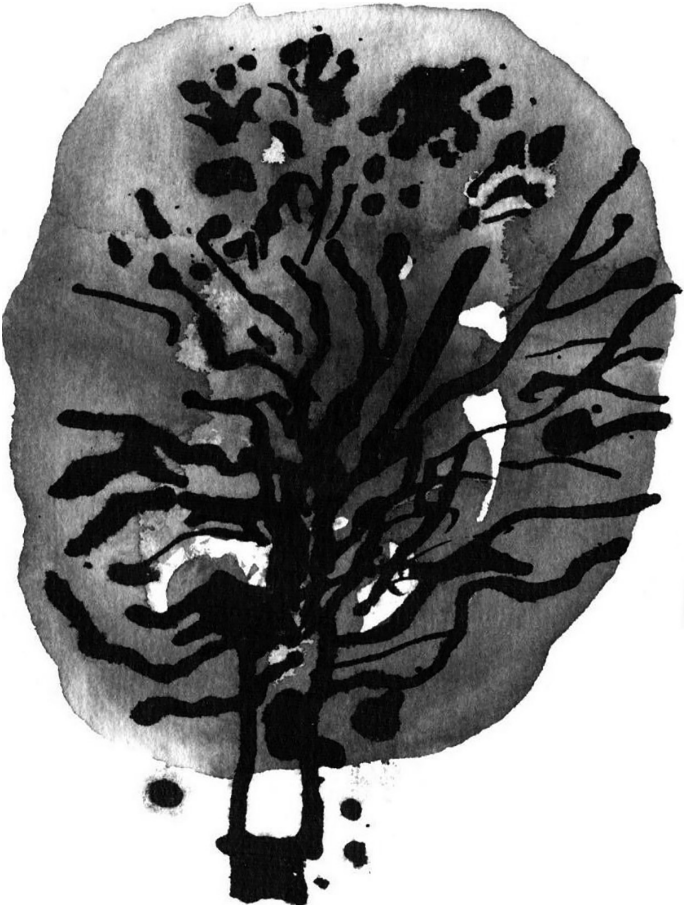

البـــذرة

(١)

لأجلي تَقَدَّمت البذرة،
بينما ينبوع القلق السري يلتفّ حول عنقي وأنا في الرحم؛
مُنِحت مُشاكسة النبات لأصله،
زلة لسان الخريف أمام أمطاره،
مُنحتُ جنون الزهرة بحيوانات تقتبسها،
وما نال من قِيَمِ الظلِّ وجاهر بها؛
مُنحت قبلة الأم، وحيلة الشحاذين تنبضُ في دمِ يقيني،
إلى أين أذهب بكل هذا وأنا فقير الدمع وغنيّ الأصدقاء؟
إلى جنّة الشعر أعتقد؛
إلى خَلفَة رجل الكون،
ورقعة الدم الصغيرة في إصبع القدم الخَالِف.

إلى حرب اليوم التالي،
دون أن يرمش لي جنينٌ كليُّ الوجود،
يخرج من بين الصلب والترائب؛
أذهب إلى حيث كان الجذر أضحوكةً،
وكانت البذرة نكتة العام.
إلى حين ما أطلقته رائحة جثث الحروب وظنّه العالم متعته الأزلية،
إلى حيث الصليب يبقى ذكرى،
والكعبة أمّ التوهان ومقصلة الشرنقة.

(٢)

[تتكاثف الألحان القديمة وأجهل: من يسمعني؟ أيظلّ مصيرنا كبتُ الشياطين التي تُدَاخِلُ أنفاسنا، فنرفعها لدرجات الإله دون أن نُخبر أو يصدقنا أحد؟ أصبحت الأشباح مدعاةً لسخرية الحَد؟ أصبح الحديث عن كونٍ داخليٍّ مسخرة قرننا المليئ بالشياطين الواقعية؟. إن لي في مواجهة الشمعة المُخَدَّرة أمامي سجودٌ أمام الواقع المَعبود؛ هم يعبدون الواقع أخيراً، يُصبح شيئاً ملموساً، حقيقيّاً، حيث لا يرون في الزهرة سوى زهرة، ولا في الأصوات النابعة من أعماق الأرض سوى هذيان براكينٍ جاهلةٍ. كيف نستطيع السير في عالمٍ يُنكر وجود الإنكار ذاته؟! كيف نَخلق ورقة الشجرة ولا من مؤمنٍ بفداحة وجود الشجرة؟. إليكم أتمنى الصعود، ومنكم أتمنى الانتماء، إليك أيتها المياه].

(٣)

ما يحتاجه اللحم البشري موجودٌ في قمّة حلم البذرة،
في آخر سلّمٍ ستصعده الغيوم لتُمطر،
في قلّة حيلة الحيوان المُفتَرس،
وما يستنشقه الدخان ليكون دخاناً.
الإيقاع ما يحتاجه اللحم، والدمُ هو جلال الإيقاع،
الإيمان ما ترفضه النار المزروعة في القلب، لأنها خُلِقت لتقاوم جليدهُ،
كُن ما سجَّلت أنفاسَكَ لأجلِهِ،
كُن ما لاحَقَ أصَابعكَ بجفافهِ؛
فمنه ينبع المحيط، وإليه تعود منابعُ الأنهار.

الجَذر

(١)

لقد كنتُ في الأرض،
أنمو على مهلٍ ويحاربني القَحط،
كنت الصبار الجليل، وفاكهة صَرخَتِهِ العظيمة:
كنتُ الحالم المُحبّ لغَدر الوجود.
من بين ذلك كانت الشمس تُلهب ظهري مراراً وتكرارا.

قلبي الذي ينبض باستمرارٍ مُخِلٍّ لا ينتبه له أحد؛
قل لأجله انكشفت بحارٌ،
وأذاقته الملح مُستغرِقَاً في حناياه الفائحة،
قل رَفَضَ النوم تسليم أنفاسِهِ إليه؛
يظل قلباً جديداً، والحياة لا تُنكَرُ ولا تُستحدث.
لقد كنتُ في الأرض جذراً وحيداً بإيقاعٍ غريب، منه تنبت

الأشجار،
وإليه يُعرَضُ الحيوان مدمّىً بقيودٍ لن تَحيي أبداً إلا داخل دمعتي:
في مياه البحر، في سلامة الأرواح من أشباحها،
في الكلمة الطيبة، وفي خشونة الغفران،
ينتهي العالم ها هنا، ولن يُرى.

(٢)

تتساقط السماء على يدي،
منذ أن نَطَقَت باسم الجذور، وأنبَتَت الثمار، وغَارَت من سلامة الضوء؛
بذلك خُلِقت الشياطين، ولأجله فُتنّا بأنفسنا.
اتفقنا على اللقاء ولا يذكر أحد،
كأننا لم نكن.
تواعدنا على ذات الأرض، أنفقنا روح أصابعنا في عصر نبيذ جحيمها،
هناك، حيث المرايا تُحمَّل في دماء عروقنا، هناك
حيث الألم يُعرضُ على شاشات أكواننا الداخليّة،
لكننا أخلفنا الوعد؟
ولأن الجذور كانت صارمةً في تشويهها
أنكرنا بعضنا البعض.
في يوم القيامة بَعَثْنا النار من دواخلنا،
و(نار القلب العضويّة) ألهمتنا العداوة فيما بيننا، وأمام أعيننا تتساقط الجثث.

(٣)

[أحلم بأشياءٍ غريبة. هل أخاف من حياتي القادمة، أم أن إشاراةَ الكون أصبحت خائبة؟ كيف نستطيع الإيمان بما بين أيدينا في عالمٍ تُهيمنُ فيه الأشجار على أنفاسها فلا تُطلِقُها، والجذور تنكمشُ على أشخاصها فلا تبحث عن ماءٍ، وسراب السحاب أنكرَ نفسه وغار في كوّة الجبل القلبي.

نبضات قلبي تتسارع منذ الجسد وإلى مخرجاته، وقراءة خارطة العروق تستحيل أعاصيرَ سيلٍ كأنه نام منذ الأزل في القلب. في وقتٍ كهذا، كيف نستطيع أن نُحبَّ دون أن نَجرَح؟ كيف نُقيمُ قِيم الخَلقِ دون أن نخترق اللحم بالمدية والرصاصة؟ كيف تستقيم حكاية الكون دونَ مأساةٍ تُجمّلها؟ كيف نتحمل قوَّةَ الأمل دون يأسٍ غريقٍ في نطق كلمة الأمل؟. غافلٌ من ظنَّ أن الحياة هي كما كنت، ومن ظلَّ في ظلِّ أكوانها سُحِبَ إلى أقصى ما يكونُ القتلُ مُباشراً: تسلّقت الأرض أحوالها، وظَلمت الطيور قشورَ فِراخها، ومن بين كل ما يحدث تُسرع الشمس في الإشراق، والقمر لا يتوقّف عن عدّ سنواته المُنتَهَكة. رأيتُ الحيوانات حائرة في المذابح تستغرق في التأمل، وبذور النباتات تستجير بالحرّ والبحيرة تُصبحُ سياحيّة. التقوى تُستَعملُ كاسمٍ لأسلحةٍ حربيّةٍ كثيرة، وفناء القصر يتراكض

في عروق المُعدمين بأوامر الرِدَّة.
هنالك الجليد الذي لم نعرف عنه شيئاً؛ هنالك قمّم الأشجار التي تراقب، من النوافذ المحترقة، الالتحام اليومي لأجساد النساء والرجال؛ هنالك البذرة تتفاقم فتصدر صوتَ التصحّر وصوت المحيط المُدَمَّى والأرحام تُراقب كل ذلك؛ الأرحام يا آلهة الكون تُغنّي رغم ذلك. وفي شأن المجازر المشتتة على يد الإله الذي شاءَ، لم نرفض شيئاً منها، بل قبلنا بها، وقبَّلناها.
أحلم بالأشلاء تسير،
أحلم بالأشلاء تبني المستقبل.
أحلم بأشلاء الصدى، وأؤمن بعودته].

عبورُ الشَّجَر

(١)

أعبرُ وفي الجلدِ يشتدّ إيقاع الضوء.

الخطواتُ تَبعثُ ما أَسَرَّته الظلالُ لبعضها ليلةَ ذُبِحت القلوب؛
طنينُ الدماء يَبني ما شاءَ من أسلحةٍ،
غرقُ الجُثَث يَطفَحُ بما ساءَ من لغةٍ،
ومن بين كلمتين تُنطَقَان لتنفيذ الخسفِ مُباركاً،
يخرج الطائر المُوشَّى بأحلام النوافذ التي فُتِحَت يومها،
مُشاهداً ما شاء من جُثَثِ الرمال جميعها وقد لُوِّنَت بأعماق البحار:
تَسَلَّمت أسماءَ أبنائها المُظَلَّلين بروائح مناديلٍ مزّقتها أيدٍ هَتَك الزمان دمعتها،
تَنَشَّقت جدران بيوتٍ لم يَنحَدِر هَدمُها من عوائلَ قلَّب الجوعُ

بَصمتها،
ثَبَّتت كلَّ شرنقةٍ صَرَختها بابنٍ من أبناء الكون السريين دون خفقِ
جناحِ فراشةٍ،
وسالت أدمعُ الأنهار مع الملامسات الشائكة لما طَفَى فوقها من
جسورٍ، سفنٍ، أنوار سَكَرٍ وملامح النهر مجروحة:
أين تختفي المُدنُ في مجموعِ سِلمِكِ الأخَّاذ أيتها النجوم؟
من أية موادٍ تكوَّنت أبراجُ قلوبك المتضاربة؟
أمِن انعكاس الوردة على صفحة الوجه؟
من قِيَاس الخطوة الأخيرة نحو هاويةٍ تشتاق الروح ولوجها؟
أجذرٌ انبَتَّ من ظلّ أحلامه،
وسالت ثماره في ذهنِ من صرَخت النباتات في جوفه،
وداعبت مخاوفَ تُربَتِهِ؟.

(٢)

كم من الأرض يكفي لتُشبِعَ خوفك؟
خطواتٌ تُحسَبُ بقامة الجلد لم تنتحب ولم تُقتَنَص،
إنها لديك تلمعُ بوجوه كواكبها، وتشتغلُ بالأشجار لغتها،
ولن تنال الرضى وإن تمتَّعت بخفق الأجنحة الساذج،
وبريق اللبان الدارجي في الفمِ،
وتسريحة الفجر الأخيرة لمنع الشمس من شروقها.
كم من الخلق يكفي لتُستَخدَم اليدُ كما ينبغي.
كم من الجوع سيكفي لتسترحم القلّةُ من قِلّتها؟.

أراقب نسور القاع وقد اكتفت بشنّ صوتها على مُدنِ الجميع.
أراقب ما تتركه خلفها من مخالب تُنبِتُ الجنود الجدد،
ما تزرعه المخالب في جذور النبات الحديث،
ما يستلهمه ضوء الشمس من اقتلاع الشجرة،
ما يقتفي الظلّ أَثَرَه في اندلاع رقص الأوراق.
أراقب نسور القاع وقد أسهَمَت بصَمتِها المستمر،
ـ بذريعة انقطاع النهر ـ
بشريعة السلام المُقَاتِل لكلِّ حياةٍ تُذكَر.

(٣)

تنقطعُ أحابيلٌ جليلةُ الصدى، تنسجها العنكبوت المضاءة البطنِ
أجساداً تُجَسِّد القوس لتُطلقَ سَهمها للفضاء؛
إنها روحُ الشمس ذات الظلِّ، إنها قوّة القلب ذات الدماء.
في سلامٍ ينتهكه الكلّ كهذا، لا مفرَّ من تقبيل الصقر في فمه*،
أهكذا كان المصير اللابس لأهواء من نسجوه وظلَّ مخلصاً لها؟.
أهكذا، يَنهدرُ الذي اعتَنَقَنا ونَالَ من نَارنَا وتَثَلَّجَ في انتظارنا؟.
أنظرُ إلى القلب كأنني أشعُر صدى البحر؛
يا لها من أعماقٍ سُمّيت بها الأرواح التي تُنكِرُ اليابسة والبحر
ولا ترى في الزهرة سوى كلمة زهرة.
إن كان لا بدّ للجذرِ أن ينتفضَ من نار تشجيعه المستمر للنمو
أن يخسر ذرات التراب السافلة من حوله،
ليقينها المُختَلَق بانعدام المياه
في صحراءٍ كهذه:
إن كانت الحياةُ صارمةً في تحديداتها لمسارات نجومك،
لكَ أن تكون صارِمَ القلبِ معها،
وإن كان لظلِّ قلبكَ حُكمٌ عليكَ،
لكان لحياة الناس في الآخرةِ حَكَما.

في أنقاضٍ كهذه:
إن كان لا بدَّ للعلَّة أن تُختَنَق،
فلنا ارتياحٌ ضبابيٌّ نُراقبُ به فَتحَ الجحيم لأبوابه،
مهما أقحَمَتِ النارُ اسمها بين أنيابهِ
مهما صارت الماءُ ابنةً لمن يدّعون اخلاصهم للنار وشياطينها؛
ارتياحٌ نضرب فيه الطبل المُغلق على نفسه،
ونشتاق للرقص على إيقاعه،
ونجتذب من كان كافراً به، نقتلع رقبةَ قلبه،
وننال قسطاً من راحة الرياح العابرة لمشهدٍ كهذا.
لن تنتهي أحلامنا لأننا الشمس، وروح الورد المُغفَل،
ولنا رمز المياه قابضاً على قلبهِ، رافعاً شَكله على أسنَّة الرماح.

لئلا تُنتَقص من البحر قطرة،
لئلا يتنحّى النهر من أي مشهد،
أُغرِق البوصلة المخنوقة باتجاهتها في عُقرِ داركم؛
في لحمِ ما دار بيني وبينكم،
إذ هي المياه التي جمعتني بكم،
إذ هو التبخّر الذي صارَ قلبي ولم يُلتَهَم.

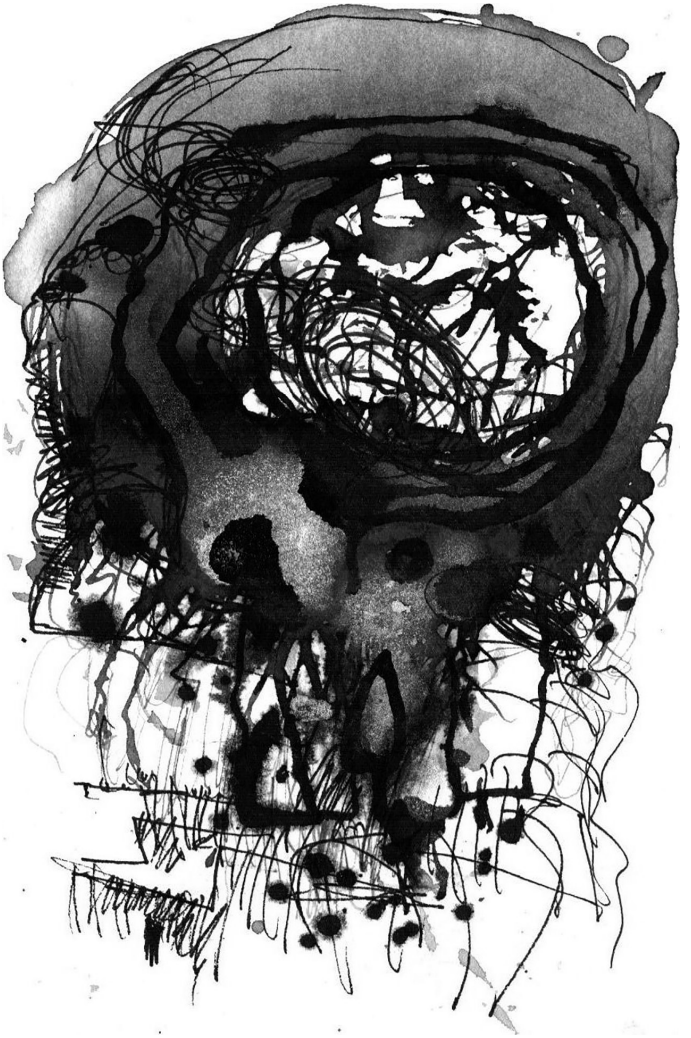

رَحم الشجرة

(١)

في الدَرَكِ الأسفل يُدخِلونَ النارَ حلقَ أحلامهم بمحبّةِ الزهرةِ،
يقطفونَ قلوبهم، كل يومٍ، من أمام قبلات ثورةِ الغيرِ،
يُقتَلونَ، كلّ يومٍ، باسم من كان الفراشةَ تزدهر بما سُمِّيَ قلباً وأرضاً،
وها هم يتسلّقون حبال الصوتِ ويستنشقون عبير تفسّخ
أجسادهم،
فأين ستختبئ القبور حين تحينُ لحظة الوفاق بين التراب وألسنتهم
المدلاة تشدّ دفوفاً تَطرُق، باستمرارٍ، قلب هذه النكايات؟
قيل أن الصبر مُحرَجٌ، وما كوّنَ النار يعتذر، ويبعثُ ببناته لاحتلال
ما كان، أصلاً، ملكاً لهنّ.
ما الذي يدور؟
أرجوكم أخبروا ما صَعَقَنا بلغة الصبر، وما سرّب لنا النار،
وما تشابهت عليه نفسه بالمياه الجارية.

[في الدرك الأسفل ـ الذي اخترته واختاروه ـ رأيتهم يتسلقون ويضحضون بعضهم الكلبَ، وفي النهاية مجرىً تجمّع ليتفرّق ولا نهايةَ للأمل! الأمل الذي اتفقنا على تنميته وانتحرنا، واحداً تلو الآخر، لانعدام لقائنا، وها هو مطلوبنا يتحقّق في الدم الآن؛ يتحقق في الظل كما كان، ومثلما كان في الزهرة، وفي تفاهة القمر الذي انتُهِكَ، والقلويات المكوّنة لجلد الدفّ تماماً كما تُكَوّن صرخةَ الحرب!].

(٢)

الدركُ حيٌّ من أحياءِ العقل والذاكرة، وهو، كذلك، قبلةٌ تُفقَدُ لانشغال الأنوار بحياكةِ الأوتار والملابس وأغشية العين الكثيرة. الدركُ مولود الألم المتوغّل في عظام يدِ من يكتب التاريخ، ومن مفاصله يُنفَثُ الشيبُ بسهولة نفثِ القلب لدماء أجسادٍ تبدو منفصلةً ولكنها، يا هولها، تنشقّ وتنفصل كما تنفصل ذرات مياه النهر الواحد المتعدّد؛ الدرك صراخ الهواء وخطوة المُغفَلِ عليه وانسراب الحصى لأذن من منح ثقته سحابةً تتفرّع من عروق العين وتصل كيان القبضة الضاربة! الدركُ انسحابٌ تدبيجيٌّ لخطاباتِ من جَدَع جسده للبحر والريح، والدرك انسدال آخر سلالةٍ تبيدها مَلكةٌ من شعيرات صوتها القابلة لتقنين الحرب ومحتوياتها. الدرك سلامةُ النفس من نفسها، وهي انسلاخ الجلد عن جلدِهِ مراتٍ ومراتٍ ليستبدَلَ بجلود أناسٍ آخرين في كلّ حين؛ الدرك ضربٌ من ترسيخ الاختيار الحر، وما من شيطانٍ منا يأتي دونَ خيارٍ، ذلك وهمُ التنفّس والرغبة القديمة وقد اتفقنا على محاربتهِ؛ تذكروا، لسنا وحدنا، ولكننا، منذ أن خُلِقَ الجحيم، نتصاعد كالبخار!.

(٣)

وفي النارِ، نخبركم، بعد أن تأصّلَ اختيارنا في عيونكم ذرةً ذرّة، أنها، بعد دعمكم السخي وسراطكم المعوجّ، غير قابلةٍ للدمج مثلما ترفض الشجرة أن تحتفظ بأوراقها؛ أعرف، ذلك من أساسيّات الدروس المُلقّنةِ ولكن الدروس، حسبَ علم النبات، أصبحت خارج السيطرة، وما وعدتم به الملائكة أصبح في يدنا نحن الشياطين؛ سيطر الملائكة ـ الذين ظننتم أنهم سينقذون العالم ـ على مخالعه، وتطهّرت أرواح الشياطين بالنار؛ بالعذاب الذي وعدتم به، وبالعذاب المنتشر عبر تصفيق أجنحة الفراش: كان هنالك الخلل! ومهما كان الحبّ في صفكم فهو سلاحٌ ضدّكم، أنقذونا، أنقذوا بقايا ضحايا غروركم. إن لم تسجد النار فذلك لأنها (النار).

(٤)

تأتي السلالةُ من الماضي دائماً، تحملُ آثارَ أشجاره ومناخاته وصرخات من مَرضوا بأمراضه، أحلام من خاضتهم حروبه، أما الانتقال فيحدث مثلما تحدث النار! وبعد أن تَرَك من أرسلتموهم أسلحتهم في الدرك نهباً لجنون الملائكة فإن من كُوّن من نارٍ لقادرٌ على استعادة ما طُردَ ـ غِيرَةً ـ من النار!.

(٥)

رأينا الجبال تنقلبُ لتنقذنا، بزلازل ما عرفتم قيمةَ تضحيتها بأجساد البشر. والقمم، في تنزّلها، تدرّ البكاء مهما هَرِمت الطيور المُساكنة لوحشتها؛ ألوانٌ ليست من هذا العالم رأيناها، أقنعةٌ حُبّبت لمن استعصموا بأساسات الجبال خلَعت عيونها الداخليّة ورمقتنا بها؛ ألا إنّ من في صدركم قسى على نفسه حدّ خذّلكم، ألا إنّ ما في صدره جَنَّةٌ صعبة الحبّ، وحريّتها من خواص الماء خالقة!.

صعود الشياطين من الدرك تاريخٌ نُقش على كلّ ما سُمِّيَ رَحِماً، وهو، باسم الرّحِم الكلاّب، آتٍ.

صلواتُ الحرب

(١)

أنت في حاجةٍ لعينٍ جديدةٍ في كلِّ حين؛
في قَلبِ طاولة الأشجار والتمعّن الكثّ في جذورها،
في تسريح جيش الدم الفاسد من جسدك المُتَجَعِّد؛
أنت في حاجةٍ لها حينَ تلمسك الماء،
عندما تُلقي عليك الظلالُ أحلامها القديمة،
أنتَ في حاجةٍ إليها لحظةَ ترفع كفّك لتصرخ،
عندما يختنق الدخان في عروق فخذك،
عندما يتلوّن كلّ شيءٍ أمامك وأنت تركض لأجل الحرب؛
حرب الذين يُقاومون وجودك أيها الحيوان الساهر كل هذا الليل.

إنك في العين الجديدة تختال في الجنّة، إنّ الجحيم يُقرّر مواد الحرق القادمة لتلويث قَدَرك، لترسم على وجهه الزفرات الكثيرة. حيرةٌ تُقاتلك؟ هل أنت قابضٌ على صدركَ لتحتويها؟ أم أن الموجات لديك لا تكفي لاحتواء المحيطات؟ قل أنك لم تفهم معنى الرياح، قل أنك مُتّ آلاف المرات لتلمس معنى التراب وأعاصيره. قل، يا جبان، أنك لم تُقبِّل؟ وأن شفاهك لم ترتعش! قل أنك لم تُجرَح، وأن النار لم تُبهِركَ وتُقتّم كاهل روحكَ. قل! إنك في النهاية، والنهاية تُجالسك وتُخبرك بشهوة جسدها؛ بآلام أحلامها، بحبها لك.

أيها الإنسان.

(٢)

لماذا تعتقدُ شجرةٌ متوحّدةٌ أنني لم أحبَّك قط؟
تتفرَّع جذورها في الأرض،
تقتسم أصفاقها كتابة الرسائل على عيون الطير،
وتحتضر الإيمانات القليلة أمامي؟

هذه الظلالُ ظلالُكِ
ما تَرَكْتَهُ من حُفَرٍ تكشف العمود الفقري!
ما تركته من عمودٍ فقريٍّ يُشابه الدائرة ويقتفي قُبَلَها.
ها نحن لا نتفاهم:
العالم أَغرَقُ من كلامكَ الذي تبثّه،
والوردة أشدُّ انعتاقاً من قانونك،
الحب أشدُّ استراقاً من قلبكَ،
والجليد منكَ نَبَع، وإليك سيعود؟!.
ها عطرُ التنافر الظاهر بين الألوان يُشكِّل روح الكون،
ها قد صَدَحت بهِ أحشاءُ نهرٍ محتضرٍ بالبشر!
أنستحق النيل؟ نعم، نستحقّه،
قد أُرسِلنا إليه،

هو حاكم قضايانا،
مُبهِجُ جلودنا التي غَرَّقتها الشمس في أكوانٍ أخرى؛
أكوانٌ سمع بها العديد من أهلنا،
وبصراحة؟
سنُجذِّر ما خُلقنا لأجله،
بكل جلالٍ وخوفٍ ورهبةٍ وانعتاقٍ يُشابه ثورة النباتات.
يُشابه ثورةَ الصوت،
ثورةَ الكلمة،
ثورة الحياة.

(٣)

قلت أكتبُ لكِ

قيلَ: من يملكُ الشمسَ في يده والسماءَ في شفتيه، سالَ وشربه الكون. من يقطف الزهرةَ طار وانفجرت في رئتيه الشموع وحار الليل داخلهُ؛ تورَّدت الذكريات في شرايْينِهِ وقالَ الحبُّ وجهَهُ. إنه يخاف من نبضةِ قلبه إذ هي ضربةُ الأرض التي تجذبُ الكائنات إليها، وهو ينال العنفَ صافياً ولكنه، إذ ينظر لعينيه، لا يناله شيء.

قلتُ أكتبُ لكِ: قوَّة الضوء وظلالهِ، حربَ الجمال الجارحةِ لكلِّ من أنكرَ عينَهُ، صليلَ الحقِّ في ظلام غرفته الجامحة في الكلمة، وسلاماً يُلهَمُ من جزءٍ قليلٍ من روحكِ تمنحينه للعالم ولا يكترث.

(٤)

سلَّمَ البرقُ يقيناً زائلاً بلَمعَة،
قَلَّل من قيمةِ خَرقِهِ لانبهارِ البَشَر،
زاعَ كلامه المَطَريّ أمام بوَّابةِ القَتلِ والانتهاك.
سواهُ أشار وخارَ وعُلِّقت حوافّه أمام مرآته وشاخ بدَمِهِ وجارَ بحبِّه؛
له المحبَّة والغفران وقلّة البرق.

أينتهي همسه المستغرق فيما كانَ هُوَ، وما زالَ هُنا؟
أسمّيكِ أيتها الشجرة العتيقة،
أطلقُ عليكِ اسماً خارقاً كالبرق الذي اخترعته ذاكرة لمعانك
الداخلي.

(٥)

سال الطميُ داخل العين،
نطَقَ باسمِهِ،
قال:
أين قلبي الذي تَركتُهُ لَكُم دَمَاً؟
أين أعضائي السرية في كلّ انفعالٍ ولمسةٍ تركتمونها على العالم؟
هل نال أخضرُ الشجرِ من انتحاباتكم يوماً؟
هل كنتم بقَدر امتلاء الموسيقى التي وُهِبتُم؟
هل كنَّا حقَّاً اخوةً في السلامة التي مُنِحَت للطبيعة؟
من أينَ نبَعَ نهركُم إذاً؟ إن لم يكن هذا الذي سُرِّبَ لُغةً؟
إنني الطميُ أسيل داخل العين.

(٦)

أجيلُ بصري على الأنهار فما أرى لمثيلها اسماً،
ولدت بجانب واحدٍ منها؛
إنها تصرخ باستمرار،
تفتح كلّ ثغور العالم الآخر بأصواتها الخالطة للريح والطمي،
تندفع بلا تيَّار نارٍ يُخبرها بمكوثِ الكون جميعه داخلها،
تنكمش في كلّ لحظةٍ حيَّةٍ نادرةٍ، تبكي مادّتها المائيَّة،
تحاور من يسكنها وتسكنه،
من يرى استمرارها المريع في السريان.

الرسائل

هالةٌ تَشنقُ ثَمَرَة كلامك،
لإنها تنبع من قلوبٍ لا تؤمن بضوءٍ منعكسٍ على الماء،
ولا تؤمن بصورتكَ الظاهرة.
لأن القِمَم قاتلة، والصاعدون عليها منقسمون لا محالة
إلى لغاتٍ وانبجاسات جلودٍ وسَقَم.
هالتك لونُكَ؛
ولكنّك تُهشِّم زجاج المرآة المعكوس على كل شيءٍ يُقابلكَ،
لأن هنالك من أخبروك بأنكَ منهم،
وتركوكَ، مُعدماً، في صحراءٍ شَكّلَتهم.

عطشُ الروح يتسرّب يا حبيبي،
ألا تظنّ أنه قائمٌ على انتكاسات القلوب،
وانكشاف فُحش نبضاتها؟.
يا لها من هاويةٍ تتقلّب مسحولةً دخل أحلام الجميع،
من يريدون هَدمَ كلّ شيءٍ،
ليبقى، على أقلّ قُبلةٍ، شيئاً.

وها تنظرُ إلى عينيكَ الأرض
فما أنتَ بفاعلٍ تجاه إلهةٍ مثلها؟
ليس لك سوى أن تكون بركانها،
أن تغضب،
وأن تُصنّفَ مجنوناً لأنك لا تؤمن بشيءٍ،
وغيركَ يؤمن باليأس من كل شيء.

(١)

لأن الجراح ستبقى على طبق ما مضى، لأن الأمر بدأ بـ(قُل)؛ تنتسبُ الأشجار للوجوه التي أشعلتها بالخطوات أمام ما ظنّته الكائنات نهايتها، ألم يدركوا بعد قدرةَ الخلقِ على خَلق من هُم غرباء؟. تشبّثت أيديهم ـ بكل ما منحتهم الأنهار والجبال من قوَّةٍ ـ ببعضهم صاعدين عبر التهابات الصلابة وخواص المواد، لكنهم دائماً ينسون شرانقهم، والأزهار ترمقمهم بذات البين؛ بذوات أقنعةٍ جذّرتها شياطينها فيما كان مُحَبَّاً ومُكَرَّماً ومُرَادا.

سأزحف تحت الأقدام، أقبِّل كلَّ من رَفَضَ السجدةَ وكلّ من شاء لنفسه أن تكون بلا خيلاء. كما تحدثُ المياهُ تحدثُ الحياة: وجعلناكم من كلِّ ألمٍ فيها ومن كلّ ذرَّةٍ تَشَبَّثت بأخرى، بعناوين ما أُلقي في الوجوه من شاماتٍ وجراحٍ وخراج ملوكٍ وصَلْبٍ لما كان مَنَّاً؛ إننا نحن، سلالة جديدة، نُعلنُ عن شهقةِ ألمنا المستمرّة في الأمهات؛ في ما ظنّه الماضي أشباحاً على طبقه، في ما قتلته الأيام بدورانها ترياقاً لاستمرار من أُطلِقَت على وجهه صفة الحياة، وما هو بحياة؛ طينٌ عرفناه كلنا، وليس سوى خيالٍ شَيَّد عالماً يسيرُ إلى نهايته: يُسرَقُ من جوعٍ، ويُخلَفُ من خوف.

(٢)

إن كانت الأشجار تَمِتُّ بصلةٍ للدموع بما تُهرقه من اخضرار، ولخيال المآتة حقّ التبجيل المستمرّ لما خَانَ البشريَّ من طغيانٍ بينه وبين طبيعةَ ازدهاره، حقَّ لنا أن نزدان بما سال لأجل ذلك من دماءٍ على أعناقنا، مثلما تزدان الضحايا بدموع من خلقهُنَّ بسوائلهنّ الدائمة. أين الخلود إذاً؟ إن لم يكن للكامن في كلّ هذه الاختلافات؟. هذيانات ما اعتُبِرَ عالماً آخرَ تشتعل، كالقلب، بين من كانوا إخوان المآتة، وبين من يصدِّقون كلّ ما صَدَر عن أَعنَقِ ما كان بريَّاً، ولم يكن إلهيّاً.

(٣)

كانت منَّا؛ اتفقنا، وضعنا الشامات بعضها فوق بعض، كل ما مثَّل الدم اخترناه ينتصب أمامنا أَنَّا ذهبنا. وها كوكبُ القتل يتقلب بين يديك، أنظر ما يليك من شتات الجثث المتعفنة، كيف لنا أن نلتقي، ونتفق، ونشتكي بطل أسماك الأرض؟ أليس النيل مهموماً بأسماءِ ما كُنَّاه؟.

(٤)

لقد انتظرت وانتظرت، كيف لوجهٍ أن ينتظر؟، كيف له أن يتحمل ملامح انتظاره ويختلي مع ذاته، من بعد ذلك، ويخفي ملامحه عن ملامح انتظاره ليلتقي الآخرين؟. فراشةٌ تضاجع عبَّادَ شمسٍ تَصرُخ، دودةٌ تراقب فراشةً تَبَرعَمَت منها تحترق بطعم الرحيق، حروبٌ سريّةٌ بين النمل والتربة وقوت الشتاء، مداعبةٌ ساخرةٌ بين البشر حول وجودٍ حيٍّ للفصول، أخبارٌ سيئةٌ بين النار والجحيم يسخران من طبيعةٍ تجمعهما، هذه السنوات الفاصلة بين الشهقةِ ونومِ صعود الروح، هذه الأليمةُ بين ما يُشتمُ وما تختاره الحواس، أيها الذي تعتقد بأن لك عينان، كيف ترى؟.

(٥)

قليلةٌ هي ظلال أيامكَ، تحتها نشبت معركةٌ بين ضفافٍ جافّة الأثداء، واندفع بينها نهرٌ يصرخُ لتذكيرك بأحلام النار الماكثة بأعضائك تُجادلك حول اسمك! من هوَ أنتَ؟ أقديمٌ يصلح لموائمة جِدَّة جسده؟ في معرفة الموت تتفرَّع عروقك، تختلس الإشارات من قيمة قسوةٍ تلتهب ببطنك تُنبت أُسوداً تُقبِّل وردتك الوحيدة؛ كم هي هناك وهنا وفي سائر أنحاء انفعالاتك! قليقةٌ هي ظلال أيامك!.

(٦)

سَمِّنا عظامَ الضربة تشربُ خُمرةَ أشلائها الراكضة في الأزقة والأنوار الليليَّة؛ سمِّنا جِوَارَ النومِ المُنتهك بذاكرته الملقاة على حِرَاب اليوم البائد؛ سمّنا ما عجزتَ عن خلقه في الأجواء لتُديرَ أبصارنا إليه، سمِّنا ما خَلقْتَه في الجدران والأنظمةِ المُتهتّكة المملوكة لأعدائك وأعداء أمهاتنا، سمّنا اللامؤمنين بنا؛ أليست لنا أعضاءٌ تشبه الأعضاء ودموعٌ تشبه الدموع وإخراجُ أمعاءٍ يُشبه الأخراج؟ لكن كوابيسنا؟. إعدادٌ لائقٌ بالحدّ الذي تطاله صرختكِ يا أمي، إذ هناك الحراس يَئِسوا من تكرار الوجوه المتعبة الأقبلَت عليهم بكلّ شغفٍ وخانت خوفها المُندثر، فتَخَلَّدت على أبوابهم ابتساماتٌ تقطرُ رفضاً. إعدادٌ يليق يا أمي.

(٧)

لكَ تعرَّفتُ على ما جَالَ في خيال دمعةِ الضحيَّة، ولأجلك، أيضاً، تَقلَّصت حيوات صَرَخَاتي، وتنسَّمت خلودها في صمتِ ما بَركَنَ في يَدكَ! هي ليست أرضكَ وحدك، إنها من صنع ما وَضعتَ، على أن نُدركَ خلايا تقلّباتك الليلية (تقلبات النهر في قلب السَمكة؟). تشبّثت الأحلام بالتفاتات الأعناق الشاردة في ذرى الكواكب، حيث الشيطان يُنهَر ولا له من نصير؟ ألن تسمع ما كَوَّنَته يداكَ من تقبيضٍ مستمرٍّ لما شاء القلب أن يشاء؟ أتتركه مسحوقاً أمام قدرتك على سرد المصائر وما تليها من قبلاتٍ فاترةٍ على الخَدَّين يا مسيرة الشتاء والصيف؟، إليك ما دار في ذهن الدم، وما قُبِلَ من أحشاء الحروب: لقد كانت الصرخة الأولى بين يديك، ولكنك أرجأتها لحين الصرخة الأخيرة، فمن نكون بين هذه المقابر الساكنة كل حرفٍ وصوتٍ يصدر عنَّا؟ أين مكانُ إلقاءِ الأشباح لنستحم بدمائها المراقة؟ هل كانو أعداءً؟ بالجد؟ أم العدوّ نحن؟ ما كان بيننا من رفقٍ وحبٍّ وفصول؟ لقد تمنيتُ أن تنال منك أجنحة العالم الآخر، ولكن، لكَ تركت مدى خوفي: كنا نبحث عن المعنى، ولا ندرك، بكلّ الرعب، أن المعنى هو من يبحث عنَّا.

المَشِيمَة

٢٠١٢م

(١)

إن احتَرَق الشجرُ أمامك فلا تستخف بالجذور الضاحكة بأوراقه،
حتَّى إن مات الطائرُ بقلبكَ فلا تُغلق عين دمكَ دونَ أن تشعر بريشه
وما تشبَّث بك من نملٍ قبِّل جحوره داخلك
وما تشرنقَ بذات لذّتك امنحه الزهرة!
لأنكَ من أنت؟ أمام كلّ ما يتحدّث إليك؟.

الخوف من الوجه المشقوق القديم مُستَفرغاً من مرايا تحملها مُكسَّرةً،
تَركضُ بها مَحلُوماً بمن منَحك الجَسد،
الخوف يرُاقب ما يحدث:
الخناجر الموعودة تفتح ثيابها مُستعدةً للضمّ والتقبيل،
كاشفةً أعضاء لم تحلم بشرف تسليمها أنفاسك كاملةً؛
أنت تُسلِّم أجنحتك لذكرى تَمَزُّقها،
في المقابل يُكشَفُ لكَ السجال الذي دارَ
أثناء إشارتك الباكية لجحيمٍ اخترته لتُولَدَ فيه.

يُراقب ما سَيَحدُث:
على أحدهم أن يموت باستمرارٍ
محاولاً اللحاق بأسلحة العالم الآخر؛
إذ كيف لهشاشة الإنسان أن تُدمَّر بسهولةٍ هكذا؟
كيف يقبل اللسان الواصل بين أبديّةٍ وأخرى
بتحميل هذا الكمّ الهائل من الصلبان؟
حاملةً بأسماء من ولدتهم المياه محتارةً؛
من قُطِّعت قلوبهم ورُكِّبت، آلاف المرات، بلاصق البرق المحموم؛
من شُيِّدت لأجلهم الأعناق مُرتّبة القَطْعِ في أيَّام الخيال المُهاجِمَة.
كم يرونَ جمال الكائن ويكرهون رغبة زيفهم باللجوء إليه،
ينتشلون، في كلِّ دورة حربٍ، ما تمزّق من أحلام الليل،
يُهرّبونها لأجل من سيصدّقون شهادة لَحمٍ خَرَج من النوم.

إنّني أدعوكم:

هرّبوا لنا الأصابع الخشبيّة أيضاً؛ حنان الحديد المُرتَجَى وسلامة أنفُسنا من أنفُسنا، الوشوم المتروكة على كلّ جسدٍ نرتديه لنعود هنا، هلهلة المَشي وتجريد حرّاس الإشارات من أسلحتهم القاسية وتخفيف الامتحان؛ أدعوكم، أكثروا من التحديق في خطواتنا ولا تتركونا لوحدنا مثلما تركتمونا في العراء الجسديّ الملتهب، لا تتركونا مثلما تركتم آباءنا والذين من قبلنا لعلكم تلجمون المقصّات القلبيّة الحادّة البركانيّة الدّاسة جرثومةَ القاتل في الأطعمة والشهوات العظيمة والملذّات الطائرة في الأعصاب تُولوِل. قلّصوا أعطاب الألسنة وغيّروا اتجاهات الرياح عندما نقول: (كُن).

(٢)

نُريد جرداً كاملاً لما تخيّلته الأشجار وما ستتخيّله الثمار؛
خلقاً مُحتشداً متفرِّداً للنار في بيضنا الدّاخلي؛
تخديراً ـ يُسلَّم باليد ـ لمن في كفّه العينُ تُحفظ.
لأننا تعلّمنا، مثلاً، أن باستطاعتنا تغيير مسارات النجوم؛
فنحن نَختار البنيان الدّاخلي
ونتجمّع أمام كلّ ثقبٍ، نجلس للتذوّق المكلوم،
مخاطرين بترك أشكالنا في الخارج،
تتعارك بالأنسجة الحسّاسة الغالية؛
بملامسة الماضي، والتقليل من مزحات المستقبل الثقيلة.
إنّنا الطيور، ونحن التّراب، والهَبْطَة المُرتقبة لالتقاط الحَب!
إنّنا الأنخاب، كذلك الدّم السريّ الفائر، والقبلة المُنطلقة ما بينهما لتُمزّق الليل،
إنّنا جالية المعدن، وسنظلّ الرصاصة، وما سيتمّ الانتحاب لأجله، والذي ستُذبحُ لأجله الذبائح.
أيكفي ألمٌ إذاً؟.
نُريد المزيد.

(٣)

خلاص، كُتِبت الرسائل الغاضبة
ولن تتوقَّف عن الاسترسال يا الولهان بنا،
وإذ أنني أدرِكُ، متأخراً، أن اللّكمة ابنتُك
والرصاصة من ضمن مكوّنات جَسدك،
وكلّ ناي كُسِرَ حطَّم زجاج صرخِتك،
فإنّني لن أتورَّع عن الإصرار على تقبيل صديدكَ يوميًّاً
ولكن متى يُصيبُ قلبي أرقامك وحكاية نزواتك المُبرَّرة؟
وكأنني متّ وأنتظر، داخل قلبي التّرابي، مرور كل القرون لقيام ما تخشاه.
أتخشاه؟
ـ والمقامات محفوظةٌ في ثلاجة الحب ـ
تتألّم من حتميّة تجريح جَسدك أيّها المسيح؟.

(٤)

قصصهم ومآسيهم مجتمعةً هي قصتك ومأساتُكَ،
وعندما تفَتَّتتَ إلى ملائكةٍ وشياطين،
كان ذلكَ أنتَ.
وأن تراني ماشياً أشوتُ الحجارة في وجهِك
متذمّراً؛ طفلاً ضريراً تلعق رئتيه جراح ظَهره،
فذلكَ حسبُ أسلحتي.

وبالمناسبة:

أنتَ من كَتب نصَّ الغفران والذل هذا.

فاسْتَعِد.